أعماق الخطر

● لماذا اشترك جهاز الشرطة مع المخابرات المصرية لأول مرة فى عملية واحدة ؟

● ما المفاجأة التى واجهت (أدهم صبرى) فى أثناء حربه مع ملك تجارة المخدرات فى مصر ؟

● ترى أينجح (أدهم صبرى) فى مهمته داخل مصر ، أم يهوى فى أعماق الخطر ؟

● اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : مهمتى القتل

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٩

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

رجل المستحيل ● أعماق الخطر ● ٣٩ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

أعماق الخطر

٣٩

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ يد واحدة ..

ارتسمت ابتسامة دبلوماسية عريضة على وجه رئيس الوزراء ، وهو ينهض لاستقبال مدير المخابرات العامة المصرية فى ترحاب ، وقاده إلى أريكة وثيرة فى الجانب الأيسر من مكتبه ، ومضت فترة وهما يتبادلان عبارات المجاملة والترحاب ، إلى أن اكتست ملامح رئيس الوزراء بالجدِّيَّة ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ لقد وجدت متعة كبيرة فى قراءة التقارير الخاصة بعملكم يا سيادة اللواء ، ومن المدهش أنها شديدة الإثارة ، كما لو كانت نوعًا من القصص الخيالى الحافل بالإثارة ، والذى تفوح منه دائمًا رائحة الخطر ، صدِّقنى أنها تصلح لعدد لا حصر له من الأفلام السينمائية المثيرة ، وأراهنك أن أحدًا لن يصدِّق أنها حقيقة .

ابتسم مدير المخابرات المصرية ابتسامة مجاملة ، لم تنجح فى إخفاء الضيق الذى أصابه من حديث رئيس الوزراء ، فبرغم أن الرجل يمثل أعلى سلطة حكومية ، إلَّا أن العادة جرت على

ألَّا يطَّلع على ملفات المخابرات سوى رجالها ، ورئيس الجمهورية ، ووزير الحربية فقط ، حرصًا على السرِّيَّة الشديدة التى ترتبط دائمًا بأعمال المخابرات ، ولكن هذا الضيق لم يوقف تساؤله فى قرارة نفسه ، عن سبب هذه المقدمة الطويلة ، واستدعاء رئيس الوزراء نفسه له لأول مرة ، ولم يطل تساؤله ؛ إذ قال رئيس الوزراء وهو يتناول ملفًا صغيرًا من جواره :

— ومن المصادفات الطريفة ، أننى قرأت أمس أيضًا بعض التقارير الواردة من وزارة الداخلية ، والخاصة بمكافحة المخدرات ، وراودتنى حينئذ فكرة عملية للغاية .

حافظ مدير المخابرات على ابتسامته الهادئة ، برغم أنه قد فهم ما يرمى إليه رئيس الوزراء ، إلا أنه ظل صامتًا يستمع إليه وهو يستطرد قائلًا :

— هل تعلم يا عزيزى أن أصعب ما يواجه رجال مكافحة المخدرات ، هو العثور على الدليل القوىّ ، للإيقاع بواحد من كبار مهرِّبى هذه السموم ؟

غمغم مدير المخابرات :

— هذا صحيح .

ابتسم رئيس الوزراء ، ثم عاد يردف :

— ربما لأن هؤلاء الكبار لا يعملون بأنفسهم إلَّا نادرًا ، ولديهم اتصالات قويَّة ببعض عمالقة تجارة المخدرات فى أوروبة وآسيا ، كما أن ثرواتهم تقدر بالمليارات ، مما يتيح لهم صنع سياج من الأمن يقيهم الوقوع فى أيدى رجال الشرطة .

ولوَّح بكفه فى الهواء ، متابعًا فى حماسة :

— تصور ما يمكن أن يحدث لو تحطَّم سياج الأمن هذا ؟.. ستكون النتائج مذهلة لا ريب .

وازدادت ابتسامته اتساعًا وهو يواصل قائلًا :

— وليس هناك أفضل من جهاز المخابرات لتحطيم أشد السياج قوةً ، ومناعةً .

كان مدير المخابرات بحكم اعتياده المفاجآت يتوقع هذه النهاية ، فتنهد قائلًا :

— إن مكافحة المخدرات لم تدخل يومًا ضمن أعمال المخابرات ، يا سيِّدى رئيس الوزراء ، فمهمتنا هى حماية الوطن من أي عدوان خارجىّ ، و ....

أشاح رئيس الوزراء بذراعه ، وقال :

— دعنا من هذه الروتينيات يا عزيزى اللواء ، إن هدفنا جميعًا هو أمن وسلامة مصر ، وسنعمل كلنا يدًا واحدة من أجل ذلك .

ثم فتح الملف الصغير وهو يقول :

ـــ ثم من قال إنكم لا تحاربون مروِّجى المخدرات ؟ لقد سبق لأحد رجالكم أن حطَّم واحدة من إمبراطوريات السموم هذه ، فى (اليونان) حسبما أظن ، إنه ذلك الرجل الذى تُضْفُون عليه فى تقاريركم صفات ، تكاد تقترب من أبطال الأساطير(*) .

ابتسم مدير المخابرات وهو يقول :

ـــ أنت تقصد العقيد (أدهم صبرى) يا سيِّدى .

أومأ رئيس الوزراء برأسه ، قائلًا :

ـــ هذا هو من أعنيه ..

ثم اعتدل ، مستطردًا فى اهتمام :

ـــ لو كان كل ما تذكره تقاريركم صحيحًا ، فإن هذا الرجل درة نادرة ، لا مثيل لها فى العالم أجمع ، إنه يساوى جيشًا كامل العتاد .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات وهو يغمغم :

ـــ هذا صحيح يا سيِّدى .

نهض رئيس الوزراء ، وسار بضع خطوات فى حجرة مكتبه ، ومدير المخابرات يتابعه ببصره فى اهتمام ، إلى أن توقَّف ، وقال فى حماسة :

(*) راجع قصة (إمبراطورية السم) .. المغامرة رقم (١٥) .

ـــ هذا هو الرجل الذى نحتاج إليه يا سيادة اللواء .

قال مدير المخابرات فى صوت خافت :

ـــ ولكن (أدهم صبرى) أكثر فائدة لنا فى محاربة الجاسوسية يا سيدى .

قطَّب رئيس الوزراء حاجبيه ، وقال :

ـــ وهل تظن انتشار تعاطى هذه السموم بين شبابنا أقل خطرًا من جاسوس يسرق أسرارنا يا سيادة اللواء ؟.. بالعكس .. إن الأسرار مهما بلغت خطورتها ، لا تلبث أن تفقد قيمتها مع مرور الزمن ، أما انهيار شبابنا تحت وطأة هذه السموم ، فهو الخراب الشامل ، ولن تقوم لنا نهضة أبدًا ، مادامت هذه المخدرات تتسرَّب إلى البلاد .

تمتم مدير المخابرات ، وكأنه قد استسلم لمنطق رئيس الوزراء .

ـــ هذا صحيح يا سيِّدى .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال رئيس الوزراء فى لهجة حازمة :

ـــ ثم إن خبرة العقيد (أدهم) ، فى العمل خارج البلاد ، هى أحد أسباب اختيارى له لهذه المهمة بالذات .

وصمت لحظة ، ثم عاد يستطرد :

ـ إننا هذه المرة لن نكتفى بإيقاع ملوك المخدرات فى الداخل ، بل سنتتبَّع مصادرهم إلى الأعماق .. إننى أنوى تدمير أعماق الخطر نفسها هذه المرة أيها اللواء ، والرجل الوحيد القادر على ذلك هو رجلكم ، الذى تطلقون عليه لقب : (رجل المستحيل) .

* * *



٢ ـ اللقاء الأول ..

رفع (عصمت فوَّاز) ، صاحب واحدة من كبرى شركات الاستيراد والتصدير فى مصر عينيه ، يتأمَّل الشاب الوسيم ، ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، الذى دخل إلى مكتبه فى خطوات وقورة رصينة ، ونهض يصافحه فى تساؤل ، فبادره الشاب بابتسامة جذابة ، زادت ملامحه وسامةً ، وهو يقدم نفسه ، قائلًا :

ـ (أحمد صفْوَت) ، رجل أعمال ، مقيد بجداول المستوردين والمصدِّرين .

ابتسم (عصمت فوّاز) ، وقال وهو يشير إلى المقعد المقابل لمكتبه الأنيق :

ـ تفضل يا سيد (أحمد) ، لقد أسعدنى لقاؤك .

مضت لحظة من الصمت والهدوء ، وكلاهما يتأمل الآخر ، ويحاول استشفاف مايدور فى أعماقه ، قبل أن يبدأ (عصمت) الحديث ، قائلًا :

ـــ إنها المرة الأولى التى نلتقى فيها يا سيد (أحمد) ، ومعذرة لأنها المرة الأولى التى أسمع فيها اسمك .

لم يكن (أحمد صفوت) هذا سوى بطلنا (أدهم صبرى) ، الذى ابتسم فى غموض ، وقال :

ـــ إننى لا أعمل كثيرًا فى مجال الاستيراد والتصدير يا سيد (عصمت) ، ويمكنك أن تقول إننى لا أميل إلى التعقيدات الروتينية فى هذا المجال .

عاد (عصمت) بمقعده إلى الوراء ، وأسند رأسه إلى قبضته المضمومة ، وأخذ يتأمل ملامح (أدهم) بعين فاحصة مرتابة ، ثم سأله فى هدوء :

ـــ فيم تعمل إذن يا سيد (أحمد) ؟

ازدادت ابتسامة (أدهم) غموضًا وهو يقول :

ـــ فى تجارة مربحة يا سيد (عصمت) ، مربحة للغاية .

التقى حاجبا (عصمت) فى شك وحيرة ، وهمَّ بإلقاء سؤال جال فى أعماقه ، لولا أنْ بادره (أدهم) مستطردًا فى جدِّيَّة :

ـــ هناك صفقة أريد استيرادها عن طريق مكتبك يا سيد (عصمت) ، وستحصل على عمولة محترمة بالطبع .

ازداد التقاء حاجبَى (عصمت) وهو يسأله :

ـــ أى نوع من الصفقات ؟



مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى لهجة توحى بأنه يخفى شيئًا ما :

ـــ مجرد علب مأكولات محفوظة .

عاد (عصمت) يسأله :

ـــ أى نوع من المأكولات ؟

تردَّد (أدهم) لحظة ، أو هكذا بدا عليه ، قبل أن يقول :

ـــ أسماك محفوظة ، أو ....

قاطعه (عصمت) ، قائلًا فى صرامة :

ـ أو ماذا يا سيِّد (أحمد) ؟

عاد التردد يبدو على وجه (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم ابتسامة مرتبكة وهو يقول :

ـ إنها علب مأكولات محفوظة فحسب يا سيِّد (عصمت) .

ظل (عصمت) يتفرَّس فى ملامحه لحظةً أخرى ، ثم بدت على شفتيه ابتسامة خبيثة حينما قال :

ـ يبدو أننى أقترب من الفهم يا سيِّد (أحمد) .

ثم انحنى إلى الأمام ، وسأله :

ـ من أى بلد ستستورد صفقتك هذه يا سيِّد (أحمد) ؟

أخذ (أدهم) ينقر بأصابعه على طرف المكتب بعض الوقت ، ثم قال فى صوت خافت :

ـ من (تركيا) ؟

اتسعت ابتسامة (عصمت) ، وندَّت منه تنهيدة قصيرة ، ثم قال فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ وهل تصدر (تركيا) الأطعمة المحفوظة ؟

لو أن أعظم رجال المسرح حضر هذا اللقاء ، لالتهبت أكفه بالتصفيق لذلك الأداء الرائع من (أدهم) ، حينما تلقَّى هذا

السؤال بمزيد من الارتباك والتوتر ، وأخرج منديله يجفف عرقًا وهميًّا من جبينه ، وابتسم ابتسامة عصبية وهو يقول :

ـ دعنا من هذه الأسئلة يا سيد (عصمت) ، إنها توحى لى بأننى أجلس أمام وكيل نيابة ، لا صاحب شركة استيراد وتصدير .

ضاقت عينا (عصمت) وهو يبتسم فى سخرية ، قائلًا :

ـ ستأتى هذه الصفقة باسمى يا سيِّد (أحمد) ، ولابد لى من معرفة كل التفاصيل ، والتأكد من سلامتها تمامًا .

نهض (أدهم) من مقعده فجأة ، واستند براحتيه إلى سطح المكتب ، وانحنى بحيث أصبح وجهه على بعد سنتيمترات قليلة من وجه (عصمت) ، وقال فى عصبية :

ـ اسمع يا سيد (عصمت) ، سأدفع مليون جنيه مصرى ، مقابل استغلال اسم شركتك فى استيراد هذه الصفقة ، وأعتقد أن مثل هذا المبلغ كفيل بإيقاف هذا السيل من الأسئلة .

رفع (عصمت) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهتف فى سخرية :

ـ مليون جنيه دفعة واحدة ؟!! .. كم ستربح منها إذن ؟

ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، وتظاهر بالرغبة فى الانصراف وهو يقول فى عصبية زائدة :

ــ هذا لا يعنيك يا سيد (عصمت) ، ولقد سئمت هذا الأسلوب ، ولن أعدم شركة استيراد أخرى تقبل مثل هذه الصفقة .

ابتسم (عصمت) وهو ينهض فى هدوء ، قائلًا :

ــ مهلًا يا سيد (أحمد) ، إننى لا أرفض عرضك .

استدار إليه (أدهم) ، وقد نجح فى رسم اللهفة على ملامحه ، ولكن (عصمت) استطرد ، قائلًا :

ــ ولكننى أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير ، هل يمكنك أن تترك لى عنوانك ورقم هاتفك ؟.. سأتصل بك مساء اليوم .. فى الحادية عشرة على وجه الدقة .

انتزع (أدهم) فى عصبية ورقة صغيرة من أمام (عصمت) ، ثم أخرج من جيبه قلمًا ذهبيًا أنيقًا ، خطَّ به عنوانه ، ورقم هاتفه على الورقة ، وناولها إلى (عصمت) وهو يقول :

ــ فليكن ، ولكننى سأنتظر حتى الحادية عشرة فقط .

ابتسم (عصمت) وهو يقول :

ــ اتفقنا يا سيد (أحمد) ، أسعدنى لقاؤك .

انصرف (أدهم) فورًا بخطوات واسعة ، وغادر مبنى الشركة إلى سيارة من نوع (المرسيدس) بيضاء أنيقة ، ولم يكد يستقر خلف عجلة القيادة ، ويدير المحرك ، حتى سألته (منى) التى تجلس إلى جواره :

ــ كيف سارت الأمور ؟

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال وهو ينطلق بالسيارة :

ــ لقد ابتلع صاحبنا الطعم من اللقاء الأول ، ولن يلبث الخيط أن يلتف حول عنقه يا عزيزتى .

* * *

راقب (عصمت) من نافذة مكتبه بالدور الثالث ، سيارة (أدهم) وهى تبتعد ، ثم غمغم فى ريبة :

ــ أية لعبة يلعبها هذا الرجل ؟

واستدار إلى جهاز الاتصال فوق مكتبه ، وضغط زره الأحمر الجانبى ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ احضر إلى مكتبى فورًا يا (مجدى) .

ثم استدار يتأمل نهر النيل ، من نافذة مكتبه وهو يشعل سيجارًا فخمًا ، وينفث دخانه فى شرود ، إلى أن سمع دقات منتظمة على باب المكتب ، فقال دون أن يستدير : ادخل .

فَتحَ الباب دون أن يحدث صوتًا ، ودلف إلى الحجرة شاب قوى البنيان ، عريض الفك ، له شارب كث ، تحرك فى خطوات هادئة إلى حيث يقف (عصمت) ، وسأله فى اهتمام .

ـــ ماذا تريد أيها الزعيم ؟

غمغم (عصمت) فى لهجة تنم عن الضيق :

ـــ إننا هنا فى المكتب يا (مجدى) .

ابتسم (مجدى) ، وقال :

ـــ حسنًا .. ماذا تريد يا سيادة المدير ؟

تجاهل (عصمت) رنة المزاح فى صوت (مجدى) ، وقال دون أن يدير وجهه إليه :

ـــ هل رأيت ذلك الشاب الذى غادر مكتبى منذ قليل ؟

أجابه (مجدى) فى هدوء :

ـــ نعم .. إنه يدعى (أحمد صفوت) حسبما أذكر .

قال (عصمت) :

ـــ نعم .. لقد جاء يعرض استيراد صفقة باسم مكتبنا ، مقابل مليون جنيه .

أطلق (مجدى) من بين شفتيه صفيرًا ينم عن الدهشة ، وهتف :

ـــ مليون جنيه ؟!!.. أية صفقة هذه ؟

أجابه (عصمت) فى هدوء :

ـــ صفقة مخدرات .

ساد الصمت التام بعد عبارة (عصمت) ، حتى أن صوت جهاز تكييف الهواء فى الحجرة بدا واضحًا للغاية ، واتسعت عينا (مجدى) ، وتدلت فكه السفلى فى دهشة ، ثم لم يلبث أن مزق ستار الصمت بقوله :

ـــ وكيف أمكنه أن يطلب ذلك ؟

هزَّ (عصمت) كتفيه ، وقال :

ـــ إنه لم يطلبه مباشرة ، ولكنه يحاول أن يجرى الصفقة دون أن ندرى عنها شيئًا .

هتف (مجدى) بمزيد من الدهشة :

ـــ ماذا تعنى ؟

قص عليه (عصمت) الحوار ، الذى دار بينه وبين (أدهم) بالتفصيل ، مؤيِّدًا عباراته بوصف الانفعالات التى بدت على وجه هذا الأخير ، إلى أن انتهى من حديثه ، فهتف (مجدى) فى انفعال وتوتر :

ـــ إنه يحاول الإيقاع بنا .. إنه واحد من رجال شرطة مكافحة المخدرات .

مطَّ (عصمت) شفتيه ، وقال دون أن يرفع عينيه عن المشهد الخارجى :

ـــ هذا واحد من الاحتمالات الموضوعة يا (مجدى) .

سأله (مجدى) فى دهشة :

ـــ أى احتمالات ؟

صمت (عصمت) لحظة ، ثم قال :

ـــ بعد انصراف (أحمد عصمت) هذا ، حاولت أن أبحث عن تفسير مناسب ، لهذا العرض الذى يقدمه ، ولم أجد أمامى سوى تفسيرات ثلاثة .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم استطرد :

ـــ إما أن يكون أحد رجال مكافحة المخدرات ، أو مهرب مخدرات يحاول الحصول على الصيد دون مخاطرة ، أو مليونيرًا ساذجًا .. وأنا أستبعد هذا الاحتمال الأخير تمامًا ، فلو أنه رجل يقتحم عالم التجارة للمرة الأولى ، ما ارتبك وتوتر ، وكاد يسقط مغشيًا عليه حينما بدأت أحاصره بالأسئلة .

زوى (مجدى) ما بين حاجبيه وهو يقول :

ـــ أى الاحتمالين الآخرين أقرب إلى التصديق إذن ؟

أخذ (عصمت) يفكِّر فى صمت بعض الوقت ، ثم قال فى هدوء .

ـــ أعتقد أنه الاحتمال الثانى يا (مجدى)

سأله (مجدى) فى قلق :

ـــ هل تميل إلى ذلك ؟

استدار إليه مبتسمًا فى ثقة وهو يقول :

ـــ أنا لا أميل إلى شىء مطلقًا يا (مجدى) ، إننى أدرس كل الاحتمالات ، ثم اضع رأيًا لا يقبل الشك ، وهذه المزية هى التى أبعدت عنى الشبهات طويلًا ، وهى التى ساعدتنى على صنع أكبر إمبراطورية للمخدرات فى مصر ، وأنت تعلم أننى قد وضعت من الاحتياطات ما يجعل تحطيم إمبراطوريتى مستحيلًا .. هل تفهم ... مستحيلًا .

* * *



٣ ـ عمالقة الشر ..

انتهت (منى) من اعداد قدحين من الشاى ، وناولت أحدهما لـ (أدهم) ، ثم جلست على المقعد المقابل له فى شرفة الشقة التى استأجرها حديثًا ، ومضت فترة من الصمت وهما يرتشفان الشاى ، ويتطلّعان إلى حديقة واسعة تطل عليها الشرفة ، ثم لم تستطع (منى) كتم القلق ، الذى ينهش فضولها ، فقالت فجأة :

ـ ماذا لو أن (عصمت) هذا عاملك كما لو كنت واحدًا من رجال مكافحة المخدرات ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

ـ إنه لن يفعل هذا يا عزيزتى .

سألته فى عصبية :

ـ وكيف يمكنك أن تكون واثقًا هكذا ؟

بدت ابتسامة (أدهم) غامضة وهو يقول :

ـ لأن المخابرات تتولّى الأمر هذه المرة يا عزيزتى .

مطّت شفتيها ، واستندت بظهرها إلى مسند المقعد ، وقالت دون أن تنجح فى كتمان غضبها :

ـ أسلوبك هذا يجعلنى أشك أحيانًا فى انتمائى إلى المخابرات .

مال (أدهم) نحوها ، وربّت على كفها وهو يقول :

ـ لا داعى للغضب يا عزيزتى ، هل نسيت واحدًا من أهم المبادئ فى عالم المخابرات ؟ ألا وهو أنه على كل فرد معرفة ما يخصه فقط ، وأنه ليس هناك من داع لمعرفة الجزء الذى لا يخصك ، لقد كان هذا أول مبدإ تعلمناه فى مدرسة المخابرات .

تخضب وجه (منى) بحمرة الخجل وهى تقول :

ـ هذا صحيح ، ولكن ..

اعتدل (أدهم) فى مقعده ، وقال :

ـ لا توجد كلمة (لكن) فى قاموس المخابرات يا عزيزتى .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ وبرغم هذا فأنا مستعد لشرح الأمر لك ، فهذا يقلل من توترك ، ويساعد على نجاح الخطة .

صمت لحظة مستجمعًا أفكاره ، ثم قال :

ـ أنت تعلمين أن عملنا يعتمد ، فى جزء كبير منه ، على دراسة الشخصية التى نتعامل معها من كل النواحى ، والجزء

الأهمّ فى هذه الدراسة ، هو الأسلوب النفسىّ ، الذى يتعامل به الخصم ، وفور تكليفنا هذه المهمة ، قام المتخصصون بدراسة شخصية (عصمت فوَّاز) من كل جوانبها ، وانتهت الدراسة إلى أنه شخص ذكىّ للغاية ، شديد الحذر ، لا يتخذ قراره إلا بعد دراسة متأنية لكل الظروف والملابسات ، وبناء على هذه النتيجة حددنا أسلوب الهجوم ، الذى يثير شكوكه ، ويجزم الخبراء أنه بعد انصرافى سيبدأ دراسة الأمر ، ولن يجد أمامه سوى ثلاثة احتمالات ، إما أننى واحد من ضباط مكافحة المخدرات ، أو مهرب مثله أحاول استغلاله ، أو مبتدئ فى عالم التجارة ، وسيقوده ارتباكى المفتعل ، ومحاولة إخفاء الأمر ، والمبلغ الضخم الذى أعرضه إلى استنتاج واحد ، وهو أننى مهرِّب مثله ، وهنا يكون قد التقم طرف الخيط ، ولن يمضىَ وقت طويل حتى يبتلعه كله .

انتهى (أدهم) من حديثه ، ولكن الدهشة لم تختف من نظرات (منى) بعض الوقت ، إلى أن هتفت فى مرح ، وفخر :

ــ ياإلٰهى !! إن لدينا عباقرة فى المخابرات .

غمغم (أدهم) :

ــ وفى كل المجالات يا عزيزتى ، ولا تنسَىْ أن كل ما لدينا من معلومات يعود الفضل فيه إلى جهاز الشرطة ، إنهم عباقرة أيضًا .

لم يكد (أدهم) ينتهى من عبارته ، حتى ارتفع رنين جرس الباب ، والتقت نظرات (منى) و (أدهم) ، ثم قال هذا الأخير :

ــ إنه صديقنا (عصمت) ولا شك .

تمتمت (منى) :

ــ ولكنها لم تتعدَّ التاسعة بعد .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو ينهض إلى الباب :

ــ هذا هو أسلوبه يا عزيزتى .

تظاهر (أدهم) بالدهشة البالغة ، حينما فتح الباب وطالعه وجهًا (عصمت) و (مجدى) ، فصاح :

ــ يا إلٰهى !! إنها ليست الحادية عشرة بعد .

تقدم الاثنان إلى الداخل دون إذن ، وأخذ (مجدى) يتأمل أثاث الشقة الفاخر ، على حين قال (عصمت) :

ــ لقد أردنا مفاجأتك يا عزيزى (أحمد) ، ثم إننى أودّ التحدث معك بعض الوقت عن تلك الصفقة و ....

وفجأة بتر (عصمت) عبارته ، والتقى حاجباه فى مزيج من الدهشة والغضب ، عندما وقعت عيناه على (منى) ، التى عبرت من الشرفة إلى الداخل ، ووقفت تتأمل الزائرين فى فضول وتساؤل ، ثم هتف (مجدى) :

— آه .. هل هى صديقتك يا سيد (أحمد) ؟ يبدو أننا قد حضرنا فى وقت غير مناسب بالفعل .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يقدمها إليهما :

— إنها شريكتى الآنسة (مها توحيد) ، وهى تملك نصف المال اللازم للعملية .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (مجدى) ، وهو يلتقط أنامل (منى) ، وينحنى ليقبلها فى رقة مصطنعة ، قائلًا :

— أسعدنى لقاؤك يا آنستى ، وأقدم نفسى ، (مجدى منصور) ، السكرتير الأول للسيد (عصمت) ، وذراعه اليمنى فى كل ما يقوم به من عمليات .

قدم (عصمت) نفسه لـ (منى) بأسلوب مقتضب ، خال من الذوق ، ثم قال فى خشونة :

— لماذا استأجرت شقة مفروشة يا سيد (أحمد) ؟

رفع (أدهم) حاجبيه ، متظاهرًا بالدهشة ، وغمغم :

— كيف عرفت هذا يا سيد (عصمت) ؟

ابتسم (عصمت) ابتسامة تفيض بالغرور ، والدهاء وهو يقول :

— إننى أعرف الكثير يا سيد (أحمد) ، أكثر مما تظن .

عقد (أدهم) حاجبيه ، فى غضب مصطنع وهو يقول :

— هل عدت إلى أسلوبك البوليسىّ هذا ؟ .. اسمع يا سيد (عصمت) ، إننى أكره من يدسُّون أنوفهم فيما لا يعنيهم ، وإذا لم تكن صفقتى تروقك ، فما عليك إلا رفضها ، وسأجد من يقبلها .

تبادل (عصمت) ، و (مجدى) ابتسامات ساخرة ، ثم جلس (عصمت) على أقرب مقعد إليه ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى بأسلوب فظ ، ثم أشعل واحدًا من سيجاره الفاخر ، وتأمل ملامح (أدهم) ، و (منى) بأسلوب استفزازى ، دفع (أدهم) إلى أن يقول غاضبًا :

— قلت لك إننى لا أحب أسلوبك هذا ؟

اعتدل (عصمت) فجأة ، وقال :

— سيكون عليك أن تعتاده يا سيد (أحمد) ، أم أنك تفضل اسمك الحقيقى .. (أدهم صبرى) .

* * *

٤ ـــ المواجهة ..

هبط قلب (منى) بين قدميها ، وارتجف فى قوة ، حينما نطق (عصمت) باسم (أدهم صبرى) ، على حين اكتفى (أدهم) بأن زوى ما بين حاجبيه ، وهو يسأله فى هدوء :

ــ كيف توصّلت إلى ذلك ؟

أطلق (مجدى) ضحكة ساخرة ، على حين عاد (عصمت) بمقعده إلى الوراء ، وقال فى فخر وهو ينفث دخان سيجاره :

ــ لم يكن هذا بالأمر العسير يا عزيزى (أدهم) ، لقد بحثنا عن اسم (أحمد صفوت) فى سجلات المستوردين والمصدّرين ، ووجدناه بالفعل ، ولكن تحرياتنا عن (أحمد صفوت) هذا فاجأتنا بأنه فى الخمسين من عمره ، متزوج وله ثلاثة أولاد ، وبنت واحدة ، ويقيم فى عنوان مخالف لما ذكرته ، وهنا بدأنا تحرياتنا عنك ، وكانت البداية من هنا ، من المنزل الذى تقيم فيه ، فوجدنا أنه مستأجر كشقة مفروشة ، ولما كان

نظام إيجار الشقق المفروشة فى مصر يجبر المؤجر على الاطلاع على بيانات البطاقة الشخصية للمستأجر ، فقد اضطررت إلى تقديم بطاقتك الشخصية ، وهى تحمل اسم (أدهم صبرى) ، هل رأيت كم كان الأمر سهلًا ؟

برع (أدهم) هذه المرة أيضًا فى افتعال التوتر والقلق ، وقال فى عصبية مصطنعة :

ــ ولم كل هذه التحريات يا سيد (عصمت) ؟ كان يمكنك أن تكتفى برفض الصفقة .

ابتسم (عصمت) فى دهاء وهو يقول :

ــ هذا صحيح ، ولكننى أردت أن أريك مايمكن أن يتوصّل إليه رجال الشرطة .

أجادت (منى) أيضًا دورها حينما شهقت ، وهتفت فى جزع :

ــ الشرطة ؟!

وتحرك (أدهم) بشكل ينم عن العصبية وهو يقول :

ــ وما دخل الشرطة فى الصفقات التى نعقدها يا سيد (عصمت) ؟

برقت عينا (عصمت) ، ببريق خبيث وهو يقول :

ــ كيف هذا يا عزيزى (أدهم) ؟.. إن الشرطة تتدخل دائمًا فى كل ما يتعلق بتهريب المخدرات .

صاح (أدهم) :

ــ المخدرات ؟!

وألقت (منى) جسدها فوق أقرب مقعد بطريقة توحى بالانهيار ، ودفنت وجهها بين راحتيها وهى تهتف :

ــ يا إلهى !! يا إلهى !!

ابتسم (مجدى) و (عصمت) فى سخرية ، وهتف (أدهم) وهو يبالغ فى إظهار توتره وعصبيته :

ــ سيد (عصمت) ، إنها مجرَّد علب مأكولات محفوظة و ...

قاطعه (عصمت) فى خشونة :

ــ هذا ما قد يبدو ظاهريًا ، ولكنها من الداخل لن تحوى سوى المخدرات يا سيد (أدهم) ، أكبر صفقة مخدرات فى تاريخ مصر ، ولا تسألنى كيف عرفت أنها أكبر صفقة مخدرات ، فهذا السؤال قد يسىء إلى ذكائك وذكائى معًا ، فالرجل الذى يدفع مليون جنيه دفعة واحدة عمولة ، لا ريب أنه يعمل فى صفقة لا تقل عن عشرة ملايين ، ولن تقل أرباحها عن ضعف المبلغ .

ألقى (أدهم) جسده هو الآخر فوق مقعده ، وأخذ يحدِّق فى وجه (عصمت) بعينين زائغتين ، ثم غمغم فى صوت واهن :

ــ ماذا تريد يا سيِّد (عصمت) ؟

نهض (عصمت) من مقعده ، وقد شعر بسيطرته الكاملة على الموقف ، وقال :

ــ ماذا أريد ؟!.. يا له من سؤال !! أنت مهرِّب مخدرات ساذج يا سيِّد (أدهم) ، من ذلك النوع الذى يسقط فى أيدى الشرطة بعد أول عملية ، ولكنك فى الوقت نفسه تملك عشرة ملايين جنيه ، وترغب فى استثمارها فى هذه التجارة المربحة ، ولكنك أسأت اختيار المصدر ، فصحيح أن (تركيا) هى أكبر سوق للمواد المخدرة ، إلَّا أن ذلك معروف للجميع ، ومن السهل تعقب أية عملية تأتى من هناك ، كما أن أسلوب التهريب الذى حاولت اتباعه ساذج ، ومعرض لخطورة شديدة ، فأنت لم تحسب ما يمكن أن يحدث فى أثناء اختبار صلاحية المأكولات المحفوظة الزائفة هذه ، فى المنطقة الجمركية كالمعتاد .

قال (أدهم) فى عصبية لا يرقى إليها الشك :

ــ ماذا بعد هذه المقدمة الطويلة ؟

استدار إليه (عصمت) ، ونفث دخان سيجاره وهو يبتسم ، ثم قال فى ليونة :

— سأتولى أنا إدارة الصفقة يا سيِّد (أدهم) ، ستعطيني ملايينك العشرة ، وتحصل على أرباحك الكاملة ، مقابل خمسة ملايين لى عمولة .

هتفت (منى) :

— خمسة ملايين ؟!

ثم انتقلت بعينيها إلى (أدهم) ، وكأنها تسأله المشورة ، فسأل (عصمت) :

— ومن يضمن ألَّا نخسر المبلغ كله يا سيد (عصمت) ؟

ابتسم (عصمت) ، وقال فى هدوء :

— لن نخسر شيئًا يا سيد (أدهم) ، إنك تعمل مع محترف .

ارتسمت دهشة بارعة على وجهى (أدهم) ، و (منى) ، وهتف الأول :

— هل تعمل فى هذا المجال يا سيد (عصمت) ؟ يا لها من مصادفة أن ألجأ إليك أنت بالذات !!

ضحك (عصمت) فى فخر وهو يقول :

— ولكننى لا أعمل بهذا الأسلوب الساذج يا عزيزى (أدهم) ، إن المصادر التى أحصل منها على صفقاتى ،

لا يمكن أن يرقى إليها الشك ، ووسيلة دخول المخدرات أيضًا معقدة وخطيرة إلى حد قد يثير الذهول ، ولكنها ناجحة للغاية ، فأنا أتعامل مع جهاز قوىّ للغاية .

قطَّب (أدهم) حاجبيه فى تساؤل حقيقى هذه المرة وهو يغمغم :

— جهاز قوىّ ؟!

ازدادت ابتسامة (عصمت) فخرًا ، وقال :

— نعم يا عزيزى (أدهم) ، إنك ستعجز عن استنتاج مصادرى ، ولكن يكفى أن أقول إنها مضمونة مائة فى المائة .

ساد الصمت لحظة ، ثم سأله (أدهم) :

— هل يمكننى الإشراف على العملية بنفسى ؟ أعنى ضمانًا للملايين العشرة .

تردَّد (عصمت) لحظة ، وزوى (مجدى) ما بين حاجبيه فى شك ، ثم قال (عصمت) :

— ولِمَ لا ؟.. سأسمح لك بذلك ، على ألَّا تتدخل فيما يحدث .

عاد (أدهم) يسأله :

— هل يمكننى معرفة مصادرك ، على سبيل الاطمئنان فقط ؟

ابتسم (عصمت) وهو يهز رأسه ، قائلًا :

ـ مطلقًا يا سيِّد (أدهم) ، هذا يخالف شروط الأمن التى وضعتها .

قال (أدهم) بلهجة تنم عن العصبية :

ـ هل تطلب منى المخاطرة بعشرة ملايين دفعة واحدة ، دون أن يكون لى الحق فى معرفة أى شىء ؟

نفث (عصمت) دخان سيجاره فى هدوء ، ودلت ملامحه على التفكير العميق لحظات ، قبل أن يقول :

ـ هذه هى شروطى يا سيِّد (أدهم) ، ولكننى سأخبرك بشىء واحد قد يبعث الطمأنينة فى نفسك ، ويؤكد قوة الجهة التى أتعامل معها ، يكفى أن تعلم أن البضاعة ستصل إلى هنا فى غوَّاصة حربية من أحدث طراز .

* * *

٥ ـ صفقة الموت ..

انهمك مدير المخابرات المصريَّة فى مطالعة ملف إحدى العمليات الجديدة ، حتى أنه لم ينتبه فى المرة الأولى إلى الطرقات التى صدرت من باب مكتبه ، وحينما كرر الطارق طرقاته رفع عينيه عن الملف فى ضجر ، وقال :

ـ هلُمَّ يا من بالباب .

تحرك الباب فى هدوء ، ودخل إلى الحجرة شابّ طويل القامة نحيل نحولًا شديدًا ، وضع أمام مدير المخابرات ورقة مطوية وهو يقول :

ـ لقد تلقينا رسالة هاتفية من العقيد (أدهم صبرى) يا سيدى ، ولقد قام قسم الشفرة بترجمتها و ...

قاطعه مدير المخابرات ، قائلًا :

ـ اقرإ الرسالة يا (فوزى) :

قال (فوزى) دون أن يلتقط الرسالة المطوية :

ـ إنه يقول إن العملية قد اتخذت اتجاهًا جديدًا ، وإنها قد أصبحت تخص المخابرات بصورة خالصة ، وهو يطلب ...

تردد (فوزى) لحظة قبل أن يكمل عبارته ، فقال مدير المخابرات فى ضيق :

ـــ حسنًا ، ماذا يطلب ؟

قال (فوزى) فى صوت خافت ، وكأنه يخشى غضبة رئيسه :

ـــ إنه يطلب عشرة ملايين جنيه نقدًا .

قطّب مدير المخابرات حاجبيه ، وغمغم :

ـــ عشرة ملايين ؟! .. لقد كانت الخطة تعتمد على إنهاء الموقف دون دفع المبلغ فعلًا .

ثم نهض من وراء مكتبه ، وسار فى الحجرة ، عاقدًا كفيه خلف ظهره كعادته كلما استغرق فى التفكير ، ثم استدار إلى (فوزى) ، وقال :

ـــ حسنًا .. أرسلها له فورًا .

اتسعت عينا (فوزى) دهشةً ، وسقطت فكه السفلى عجبًا ، فقد كان من المعروف عن مدير المخابرات الحالى أنه شديد الصرامة فيما يتعلق بإنفاق المال العام ، وكثيرًا ما ناقش لساعات ضروريات إنفاق مبلغ لا يتعدّى الصفرين ، وها هو ذا يوافق بلا تردد على دفع مبلغ يبتلع ميزانية المخابرات العامة ، لذا فقد قال (فوزى) فى محاولة لتهوين الأمر :

ـــ أعتقد أنه ما دامت هذه العملية مشتركة بيننا وبين وزارة الداخلية ، فمن المفروض أن يدفعوا نصف المبلغ .. أليس كذلك ؟

التقط مدير المخابرات الورقة المطوية ، وفضّها دون أن يبدو عليه أنه قد سمع سؤال (فوزى) ، وانهمك فى قراءتها ، ثم غمغم فى دهشة :

ـــ غوّاصة حربيّة ؟!

عاد (فوزى) يسأله :

ـــ سيدفع جهاز الشرطة نصف المبلغ يا سيّدى ، أليس كذلك ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم قال وهو يشرد ببصره بعيدًا :

ـــ هل تعلم يا (فوزى) ؟.. قبل نكسة يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، كان هدف (إسرائيل) الرئيسى هو تحطيم الجبهة الداخلية لمصر ، وفى سبيل ذلك أنفقوا الكثير من الجهد والمال لتهريب أكبر قدر من المخدرات إلى داخل مصر ، فهذه السموم تحطِّم شبابنا معنويًا وجسديًا ، وتفقدهم الطموح والعزم ، ولقد كان هذا هو طريقهم الأول لهزيمتنا حينذاك ،

وحينما تنبهنا إلى ذلك ، وحاربنا أسلوبهم هذا ، لقنَّاهم درسًا قاسيًا فى أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين .

زوى (فوزى) ما بين حاجبيه فى حيرة ، فلم يجد صلة واضحة بين سؤاله وحوار مدير المخابرات ، إلَّا أنه عاد يسأل فى إصرار :

ـ هل تدفع الشرطة نصف المبلغ يا سيدى ؟

استدار إليه مدير المخابرات ، وقال :

ـ كلَّا يا (فوزى) .. لم تعد هذه العملية تخص الشرطة ، لقد أصبحت خالصة للمخابرات ، وسننفق على عملياتنا بسخاء ..

* * *

تألق بريق الشهوة فى عينـى (عصمت) حينما وضع (أدهم) أمامه الملايين العشرة ، وبرغم ثرائه الفاحش إلا أنه مدَّ كفه يتحسسها فى لهفة ، ثم عاد يسيطر على انفعالاته ، وإن بدت واضحة من الأسلوب العصبى الذى ينفث به دخان سيجاره ، وهو يقول :

ـ حسنًا يا سيد (أدهم) .. لقد تلقيت رسالة من شركائى ، وستصل الصفقة فى منتصف ليل الغد .

التقى حاجبا (أدهم) فى حيرة ، فقد كان يعلم أن الرقابة التى تحيط بـ (عصمت فوَّاز) صارمة ، إلى درجة لا يمكنه معها التحدث إلى نفسه وهو يحلق ذقنه دون أن يسجل حديثه بدقة ، ولو أنه تلقى رسالة من شركائه لكان (أدهم) أول من يعلم ، وما دام لم يتلق هذه الرسالة التى يزعمها فهذا يعنى أمرين لا ثالث لهما ، إما أن الصفقة فى طريقها من قبل هذا الاتفاق ، أو أنها مجرد خدعة من (عصمت) لتمويه الأمور ، وكان الرأى الثانى هو ما رجَّحه (أدهم) ؛ لذا فقد قال :

ـ لقد اتفقنا على أن أراقب الخطوات كلها يا سيد (عصمت) .

ابتسم (عصمت) وهو يقول :

ـ لا تقلق يا سيد (أدهم) .. ستفعل .

ثم مال نحوه مستطردًا :

ـ ولكننا سنحتفل الليلة بالعقد الذى أبرمناه معًا ، وسيكون احتفالًا صغيرًا ، ولكنه سيعجبك وشريكتك كثيرًا .

اشتم (أدهم) رائحة الخداع فى هذه الدعوة ، فسأله وهو يتظاهر باللامبالاة :

ـ وأين سيجرى هذا الاحتفال ؟

ابتسم (عصمت) فى دهاء ، وقال :

ـــ دع لى الحق فى مفاجأة واحدة يا عزيزى (أدهم) ، وأنا واثق أنها ستعجبك .. ستعجبك جدًّا .

* * *

أطلق (أدهم) صفير إعجاب مَرِحًا طويلًا حينما فتح باب شقته الجديدة ، ووقعت عيناه على (منى) فى ثوبها البنفسجى الأنيق ، وقال ضاحكًا :

ـــ يا إلهى !! إنك تبدين رائعة يا عزيزتى ، ستغار منك ملكات جمال العالم لو وقعت عيونهن عليك فى هذا الثوب .

احمر وجهها خجلًا ، وغمغمت بكلمات غير مفهومة وهى تبتسم فى سعادة ، وأرادت الهروب من الموقف ، فسألته :

ـــ ألم تتوصل بعد إلى المكان الذى دعانا إليه (عصمت) ؟

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـــ دعيه يصحبنا إلى المكان الذى يروق له .

سألته فى قلق :

ـــ وماذا لو أنه يعد لنا فخًّا ؟

تألقت عيناه ببريق عابث ساخر وهو يقول :

ـــ سيكون هذا من سوء حظه ، وحسن حظ المستشفى الذى يعالجه .

ابتسمت (منى) لعبارة (أدهم) ، وفى نفس اللحظة ارتفع رنين جرس الباب ، فنهض (أدهم) وهو يقول :

ـــ يبدو أن سهرتنا ستبدأ يا عزيزتى .

فتح (أدهم) الباب ، فوجد أمامه (مجدى) فى حلة أنيقة سوداء ، ولكن ذلك الانتفاخ الواضح أسفل سترته لم يخف على عين خبيرة كعين (أدهم صبرى) ، ولكنه تجاهل ذلك وهو يقول :

ـــ مرحبًا يا سيد (مجدى) ، هل ستصطحبنا إلى الاحتفال ؟

أجابه (مجدى) فى برود :

ـــ السيارة تنتظر ، ولقد اقترب الموعد .

صحب (مجدى) (أدهم) و (منى) إلى السيارة ، التى قادها بنفسه عبر شوارع القاهرة دون تبادل كلمة واحدة ، إلى أن وصلت إلى بداية الطريق الصحراوى ، فسأله (أدهم) :

ـــ عجبًا !! هل سنحتفل فى قلب الصحراء ؟

ابتسم (مجدى) فى خبث دون أن يجيب عن سؤال (أدهم) ، وزاد من سرعة سيارته ، مجتازًا عشرات الكيلومترات ،

إلى أن انحرف فجأة إلى (كافيتيريا) صغيرة وسط الطريق ، استقبله العاملون فيها بترحاب يؤكد معرفتهم السابقة له ، وصحب هو (أدهم) و (منى) إلى حجرة جانبية ، حيث سأله (أدهم) :

ـ هل سيجرى الاحتفال هنا ؟

أجابه فى برود :

ـ كلا يا سيد (أدهم) .. إنها إجراءات الأمن ، وأرجو أن تعاونانا على أن يقدم لنا كل منكما كل ما يرتديه من أشياء معدنية .

قالت (منى) فى غضب :

ـ ماذا تريدون ؟

أجابها فى برود كالثلج :

ـ نريد أن نتأكد من أنكما لا تحملان أجهزة تسجيل أو تتبع ، أو أيًا من هذه الأشياء .

قال (أدهم) :

ـ ألن يكف رئيسك عن اتباع هذه الأساليب البوليسية ؟

وفى سرعة ، انتزع (مجدى) المسدس الذى يخفيه أسفل سترته الأنيقة ، وصوبه إليهما وهو يقول فى صرامة :

ـ إجراءات الأمن لا تعرف المجاملة ، ستنفذان الأوامر أو أزين رأسيكما برصاص مسدسى .

* * *

٦ ـ لقاء مع الموت ..

شقت سيارة حمراء جديدة طريق القاهرة ـ الإسكندرية الصحراوى ، وبداخلها جلس (أدهم) و (منى) صامتين ، إلى أن قال (أدهم) محدثًا (مجدى) الذى يقود السيارة :

ـ لقد أفسدت السهرة بأسلوبك السخيف هذا .

ضحك (مجدى) فى استهتار وهو يقول :

ـ إنها أوامر السيد (عصمت) ، فهو لا يحب أن يتعقبه أحد ، ومن المفروض أن تثير إجراءات أمننا اطمئنانك ، ما دمت قد أصبحت شريكًا فى كل ما يحدث .

غمغمت (منى) بعبارة ساخطة ، على حين قال (أدهم) :

ـ أنتم حذرون جدًا فى الواقع ، فتفتيش الأدوات المعدنية ، وتبديل السيارة فى منتصف الطريق ، وذلك الحادث المفتعل الذى يعوق من يتعقبكم ، كلها وسائل ذكية تؤمن لكم عدم كشف أمركم .

ابتسم (مجدى) فى فخر ، وقال :

ـ السيد (عصمت) ذكىّ للغاية .

انتهزت (منى) فرصة تفاخر (مجدى) ، وسألته :

ـ أين يقيم هذا الاحتفال ؟

أجاب فى بساطة :

ـ فى يخت صغير يقف على بعد ميل بحرى واحد من شاطئ (أبى قير) .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه وهو يسأله :

ـ هل يملك السيد (عصمت) يختًا ؟

ضحك وهو يجيبه ، قائلًا :

ـ إنه أذكى من أن يفعل هذا ، فاليخت مسجل باسم رجل آخر لا تربطه به أدنى صلة أمام الجميع ، ولكنه فى الواقع واحد من الرؤساء .

غمغمت (منى) فى دهشة :

ـ الرؤساء ؟!!

استعاد (مجدى) حذره وشراسته وهو يقول :

ـ إنك تتحدثين كثيرًا يا آنستى ، وفى مهنتنا هذه يكون من الأفضل أن يطبق الإنسان شفتيه ، ويخمد فضوله ، حتى يظل حيًّا .

سأله (أدهم) فى غضب حقيقى :

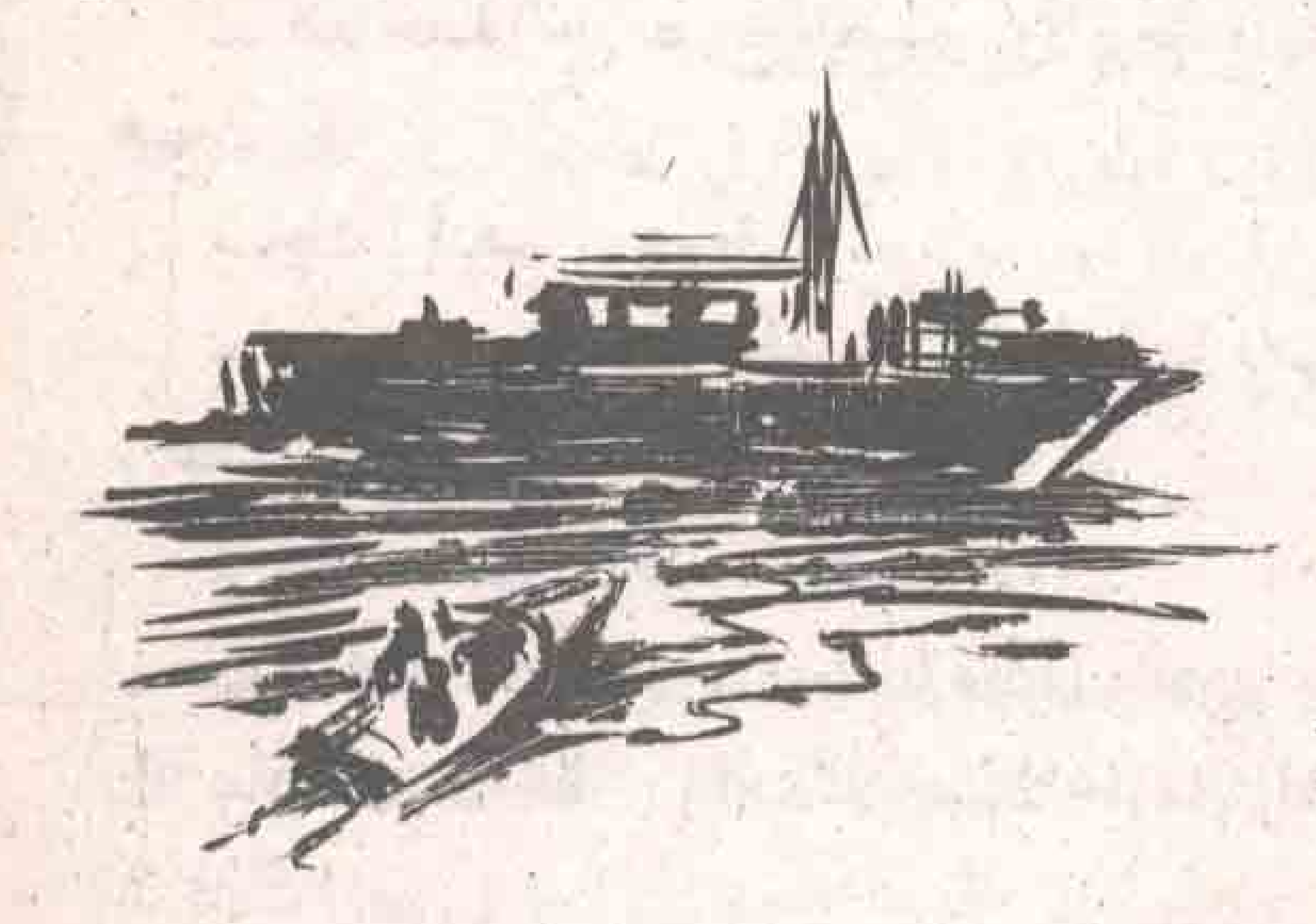
ـ أهو تهديد ؟

أجابه فى برود :

ـ نعم .. إنه كذلك .

* * *

انطلق زورق بخارى صغير نحو اليخت الأنيق فى ظلام الليل ،



والتقطت عين (أدهم) الفاحصة ذلك الاسم الصغير المنقوش على جانب اليخت ، قبل أن يصعد إليه بصحبة (مجدى) و (منى) ، واستقبلهم (عصمت) فى حرارة وهو يرتدى حلة أنيقة باهظة الثمن ، وقال فى مرح مصطنع :

ـ ما رأيكما فى مفاجأتى هذه ؟

أجابه (أدهم) باسمًا :

ـ فكرة مبتكرة ولا شك .

وسألته (منى) :

ـ ألا يضايقك رجال خفر السواحل ؟

هز كتفيه ، قائلًا :

ـ لقد حصلنا على تصريح بالصيد ، ولا يوجد ما يشتبهون فيه .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـ يبدو أنك تأخذ الحذر من كل نقطة يا سيد (عصمت) .

لوح (عصمت) بكفه ، وقال فى غرور :

ـ هذا هو سر التفوق والنجاح يا عزيزى (أدهم) .

ساد الصمت لحظة ، وكأن كلًا منهم لا يجد ما يقوله ، إلى أن قالت (منى) :

ـ لست ألمح أية مظاهر تشير إلى وجود احتفال ما ، أهو احتفال سرّىّ يا سيد (عصمت) ؟

برقت عينا (عصمت) وهو يقول :

ـ سنحتفل بوسيلة مبتكرة يا آنستى ، ولكننى أنتظر باقى الضيوف .

غمغمت (منى) :

ـ باقى الضيوف ؟!

وفى تلك اللحظة هرع أحد الرجال القائمين على اليخت نحو (عصمت) ، وهمس فى أذنه ببضع كلمات هامسة ، فابتسم (عصمت) ، والتفت إلى (أدهم) و (منى) قائلًا :

ـ لقد وصل ضيوفنا يا سادة .

حدَّق (أدهم) و (منى) فى الظلام السائد عند مؤخرة اليخت ، ولمحا تلك الظلال السوداء التى تتسلل إليه ، ولم تستطع (منى) كتم دهشتها وهى تهتف :

ـ يا إلهى !! ضفادع بشرية ؟!!

* * *

أسرع (عصمت) نحو رجال الضفادع البشرية الثلاثة فى مؤخرة اليخت ، وصافحهم فى لهفة ، ثم انهمك معهم فى حوار هامس ، على حين مال (أدهم) على أذن (منى) ، وهمس فى سخرية :

ـ تنتابنى رغبة شديدة فى تحويل (عصمت فوَّاز) هذا إلى ضفدع غير بشرى يا عزيزتى .

سألته (منى) همسًا فى توتر :

ــ من هؤلاء ؟

أجابها فى هدوء :

ــ رسل الشرّ ، الذين أحضروا البضاعة المطلوبة .

سألته :

ــ وما جنسيتهم ؟

أجابها فى سخرية :

ــ عجبًا !!.. ألم تميزى تلك الملامح التى تجمع ما بين السلالة الشرقية والغربية ، وتلك الأنوف المعقوفة والعيون الضيّقة و ....

قاطعه (مجدى) :

ــ فيم تتهامسان ؟

أجابه (أدهم) فى تهكم :

ــ هل تتضمن إجراءات الأمن التى تتبعونها منع الناس من التحدث ؟

احتقن وجه (مجدى) ، وظهر الغضب فى ملامحه ، وهم بالتفوُّه بواحد من ألفاظه الباردة السخيفة ، لولا أن ارتفع صوت (عصمت) يقول :

ــ أين أنت يا سيد (أدهم) ؟.. هؤلاء السادة يريدون رؤيتك وتعرفك .

كان (أدهم) يوليه ظهره فى تلك اللحظة ، فلم يكد يستدير ليواجه رجال الضفادع البشرية الثلاثة ، حتى تراجع أحدهم فى ذعر ، كما لو كان قد رأى شبحًا ، وتسمَّر الثانى فى مكانه ، وقد اتسعت عيناه ذهولًا ، وتدلت فكه السفلى فى بلاهة ، على حين صرخ الثالث فى توتر بالغ :

ــ أهذا هو الرجل الذى تقصده ؟.. إنه يدعى (أدهم صبرى) ، أليس كذلك ؟

التقى حاجبا (منى) فى تساؤل ، وحدَّق (مجدى) فى وجه (أدهم) بدهشة ، على حين ظهرت الحيرة على وجه (عصمت) ، وابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وغمغم (عصمت) فى قلق :

ــ ها هو اسمه بالفعل ، ولكن ما الذى يعنيه لكم هذا الاسم .

صاح رجل ثان من الضفادع البشرية :

ــ ربَّاه !! لقد أخبرنا أنه قد لقى حتفه فى العملية السابقة(*) .

(*) راجع قصة (لعبة المحترفين) .. المغامرة رقم (٣٨) .

قال (أدهم) فى لهجة ساخرة أثارت دهشة الجميع :

ـ القط له دائمًا سبعة أوراح أيها الأوغاد .

صاح (عصمت) فى حنق وتوتر :

ـ ماذا يحدث هنا ؟.. أريد أن أفهم .

استدار إليه قائد الضفادع البشرية ، وصاح غاضبًا :

ـ أيها الغبىّ .. لقد خدعوك هذه المرة برغم كل الاحتياطات .

شحب وجه (عصمت) وهو يقلب بصره بين (أدهم) ، وقائد الضفادع البشرية ، قائلًا :

ـ ماذا تعنى يا مستر (مازيل) ؟

أشار (ليڤى مازيل) إلى (أدهم) وصاح فى حَنق :

ـ هذا الذى تنوى مشاركته فى صفقة مخدرات ضابط مخابرات مصرى ، بل هو أخطر ضابط مخابرات فى العالم .. إنه (أدهم صبرى) .

* * *

٧ ـ صفقة مع الشيطان ..

لم يكد (ليڤى مازيل) يصرح بحقيقة (أدهم) حتى ارتفعت مسدسات البحارة الأربعة ، الذين يعملون على سطح اليخت ، ومسدس (مجدى) فى وجهى (أدهم) و (منى) ، على حين تدلت فك (عصمت) فى ذهول ، وصرخ فى غضب جنونى يمتزج بالدهشة :

ـ ضابط مخابرات ؟!.. وما شأن المخابرات فى قضايا المخدرات ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ولا مبالاة وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، على حين هتف (ليڤى) فى حنق :

ـ لابد أنهم قد كشفوا أننا نحن الذين نأتى إليك بالمخدرات ، أراهن أنك ارتكبت خطأً غبيًّا .

احتقن وجه (عصمت) بالدماء وهو يقول :

ـ إننى لا أرتكب أية أخطاء .

أطلق (ليڤى) ضحكة ساخرة عالية ، تفيض بالمرارة وهو يقول :

— وماذا تسمى وصول هذا الشيطان المصرى إلى هنا ؟..
مجرد هفوة ؟!

انعقد لسان (عصمت) ، ولم يستطع النطق بكلمة واحدة ، على حين التفت (ليفى) إلى (أدهم) ، وقال فى شماتة :

— إنك لم تتوقع أن نتقابل هذه الليلة ، كما لم تتوقع أن دولتنا هى مصدر المخدرات ؛ لذا فقد استخدمت اسمك الحقيقى دون حذر ، وأتيت إلى هنا بلا سلاح .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال دون أن يفقد ابتسامته الساخرة :

— خطأ أيها الوغد ، صحيح أننى حينما بدأت العملية كنت أظن أننى أسعى خلف مهرب مخدرات ذكىّ ، ولكننى ، بعد أن كشفت اسمى الحقيقى ، علمت أنه يتعامل مع جهة أجنبية تمده بالمخدرات عن طريق قطعة من أسطولها البحرىّ ، ولما كانت دولتكم هى الوحيدة التى تستخدم الأسلوب المكيافيللى « الغاية تبرر الوسيلة » ، فلم يكن من الصعب استنتاج أنكم المصدر الرئيسى لهذه السموم فى مصر ، ولا ريب أنها واحدة من محاولاتكم لمنع تقدم الدول العربية فى الشرق الأوسط ، عن

طريق تدمير روح الطموح والعزم فى شبابها ، ولكنه لم يكن هناك مجال للتراجع فى الوقت نفسه ؛ لذا فقد بدلت الخطة .

حدَّق (ليفى) فى وجهه بدهشة ، وقال :

— بدلت الخطة ؟!!

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

— نعم ، لقد وجدت أن (عصمت) لم يعد مجرد تاجر مخدرات ، بل هو الآن جاسوس حقير يسىء إلى بلاده ، كما أن التخلص منه لم يعد يحتاج إلى أدلة ، وهنا قررت أن يكون هدفى هو الغوَّاصة .

عاد (ليفى) يكرر كالأبله :

— الغواصة ؟!!

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، على حين اقترب منه (عصمت) ، وقال فى غضب :

— يا لك من مغرور !! أتريد اصطياد غواصة ؟!!

ثم التفت إلى (ليفى) ، وصاح :

— إننا لم نخسر كل شىء بعد يا مستر (مازيل) ، فأنت تعلم أنه ما من مخلوق يمكنه استنتاج مكاننا الحالى ، بعد كل إجراءات الأمن التى اتبعناها ، ولو أننا قتلنا هذا الرجل ، وزميلته ، و ....

قاطعه (ليفى) فى سخط :

ــ صه يا (عصمت) ، إنك لا تفهم شيئًا فى عملنا هذا ، إن مجرد انكشاف الأمر يعنى فشل العملية بأكملها ، ولن يمكننا التعاون مرة أخرى .

شحب وجه (عصمت) لحظة ، ثم استدار إلى (أدهم) ، وجذبه من سترته صائحًا :

ــ إننا لن نحطم كل شىء من أجل رجل واحد ، خاصة وهو لا يحمل سلاحًا .

تطلع (أدهم) بعينيه الساخرتين إلى عينى (عصمت) ، وقال :

ــ من قال هذا ؟.. إننى أحمل سلاحًا يكفل لى الفوز .

تفحص (عصمت) وجه (أدهم) بمزيج من القلق والدهشة ، ثم لم يلبث أن هتف وقد تملك منه العناد :

ــ أنت كاذب ، لقد فتشوك جيدًا ، أبرز سلاحك لو أنك تملكه حقًا .

وفى سرعة البرق ، انطلقت قبضة (أدهم) فى لكمة ساحقة تحطم فك (عصمت) ، وهو يقول :

ــ ها هو ذا .

* * *

القتال .. أى قتال تعتمد نتائجه على عدة عوامل ، وهى القوة ، والجرأة ، والخبرة ، والمرونة ، وسرعة المبادرة والاستجابة .. وبهذه العوامل يحصل (أدهم صبرى) على المركز الأول بين رجال المخابرات فى العالم أجمع ..

فلم تكد قبضته الفولاذية تحطم فك (عصمت) ، وقبل أن يسقط هذا الأخير أرضًا ، تحرك (أدهم) فى سرعة خرافية ، ودفع (منى) يسارًا ، ليبعدها عن مرمى النيران ، على حين مال هو يمينًا ، ثم دار على عقبيه ، وركل المسدس الذى يمسك به (مجدى) ، فأطاح به فى الهواء ، وقفز يلتقطه فى خفة مذهلة ، وقبل أن تعود قدماه إلى الأرض أطلق أربع رصاصات صائبة ، انطلقت كل منها إلى هدفها فى طاعة عمياء ، ولم تكد قدما (أدهم) تلمسان سطح اليخت حتى كان البحارة الأربعة قد تجردوا من مسدساتهم ، التى أطاحت بها رصاصاته إلى أعماق البحر ، وتسمَّر الجميع فى ذهول عندما صوَّب (أدهم) إليهم مسدسه ، قائلًا فى سخرية :

ــ انتهت المعركة أيها السادة .

وفجأة قفز (مجدى) من خلف (أدهم) مطوقًا إيَّاه بذراعيه ، وكانت الحركة مفاجئة حتى أن (أدهم) فقد

مسدسه ، الذى أسرع إليه (ليقى مازيل) ، محاولاً التقاطه ، إلَّا أن (منى) أسرعت تركل المسدس ، وتلقى به فى البحر وهى تقول :

ــ حذار من اللعب بالنار أيها الوغد ، فهو يؤدى إلى نتائج مؤسفة ليلاً .

وفى نفس اللحظة تحركت قدم (أدهم) إلى الخلف تركل ساق (مجدى) ، الذى جذب ذراعيه من شدة الألم ، فأسرع (أدهم) يدير ذراعه اليمنى من فوق رأسه إلى ما خلف ظهره ، ويقبض على ياقة سترة (مجدى) ، فى نفس الوقت الذى دفع فيه كوعه الأيسر فى معدة هذا الأخير ، ثم مال إلى الأمام ، ورفع (مجدى) بحركة بارعة من حركات (الجودو) ، ليلقى به أرضًا بكل قوة ، وقبل أن يسرع البحارة لنجدة الرجل الثانى فى إمبراطورية السموم جذبه (أدهم) من سترته ، وأجبره على الوقوف على قدميه وهو يقول فى سخرية :

ــ لقد جلبت هذا لنفسك أيها الوغد ، فأنا أتوق إلى تهشيم أنفك منذ رأيتك للمرة الأولى .

رفع (مجدى) ذراعيه فى ذعر ليحمى وجهه ، إلَّا أن قبضة (أدهم) اندفعت بينهما ، لتهشم أنفه ، وتلقى به فى غيبوبة طويلة .

قفز البحارة الأربعة نحو (أدهم) ، وعيونهم تنطق بالشر ، على حين اندفع رجال الضفادع البشرية الثلاثة نحو (منى) ، التى أثبتت أنها تستحق الانتماء إلى المخابرات المصرية ، عندما قفزت إلى الخلف ، وركلت أحدهما فى معدته ، ثم مالت جانبًا ، ولكمت الثانى فى أنفه ، ولكن (ليقى مازيل) أسرع يطوِّق عنقها بذراعيه ، ويضغطه فى قوة وهو يقول :

ــ كم يسعدنى أن أهشم عنق فتاة تنتمى إلى المخابرات المصرية .

فى نفس اللحظة كان البحارة الأربعة ينقضون على (أدهم) ، وهذا آخر ما يذكرونه فى الواقع ، فقد تلقى أولهم لكمة ساحقة ألقت به إلى الجانب الآخر من اليخت ، وتحطم أنف الثانى بلكمة ثانية ، وشج رأس الثالث حينما هوت مطرقة بشرية فوقها ، وفقد الرابع خمسًا من أسنانه إلى الأبد ، وانتهى القتال فيما لا يزيد على ثانية واحدة ، والتفت (أدهم) إلى زميلته ، فى محاولة للدفاع عنها ، ولكنه تسمَّر فى مكانه حينما رأى عنقها بين ذراعى (ليقى) ، وهى تحاول التخلص فى يأس ، وقد احتبست أنفاسها ، وجحظت عيناها فى ألم ، وسمع (ليقى) يقول فى وحشية :

— عليك أن تختار أيها الشيطان المصرى ، نحن أو زميلتك .

ظل (أدهم) صامتًا يراقب الموقف لحظة ، ثم ضاقت عيناه ، وتراخت عضلاته وهو يقول :

— هناك اقتراح ثالث يا (ليڤى) .

اختلس (ليڤى) النظر إلى رفيقيه اللذين نهضا فى ألم ، واطمأنّ قلبه بوجودهما إلى جواره ، فقال دون أن يخفف ضغط ذراعه عن عنق (منى) :

— أى اقتراح هذا ؟

تألقت عينا (أدهم) ببريق ساخر وهو يقول :

— أن نعقد معًا صفقة .. صفقة قد تنقذ حياة الجميع .

* * *

٨ — الغوَّاصة ..

تطلَّعت عيون الضفادع البشرية الثلاثة إلى (أدهم) فى شك وتساؤل ، ومرت فترة من الصمت ، لم يعد يسمع فيها سوى صوت الأمواج التى ترتطم باليخت ، وتأوهات (منى) من ضغط ذراع (ليڤى) على عنقها ، إلى أن قال هذا الأخير فى صوت متحشرج من شدة الانفعال :

— أنت تعرض علينا صفقة أيها الشيطان .

بدت كلمات (أدهم) باردة كالثلج ، قاسية كالفولاذ وهو يقول :

— إنك تهددنى بقتل زميلتى إذا ما حاولت قتالكم أيها الوغد ، متصورًا أن هذا سيمنعنى من مهاجمتكم ، ولكننى أرى الأمور من منظار آخر ، فهناك شاب قد يلقى حتفه إذا ما ثبت وجودى على قيد الحياة(*) ، وأنتم الثلاثة الدليل الوحيد على بقائى حيًّا ، ومصلحة الوطن كله تقتضى منعكم من إيصال هذا

(*) راجع قصة (لعبة المحترفين) .. المغامرة رقم (٣٨) .

لرؤسائكم ، وأنا لا أتنازل مطلقًا عما يعاوننى على رفعة هذا الوطن ، ومن هنا تجد أن الأمر يتخذ منعطفًا جديدًا ، فلو أنكم استسلمتم فسأكتفى بأسركم على قيد الحياة ، أما لو مسستم شعرة واحدة من زميلتى ..

صمت (أدهم) لحظة واحدة قبل أن تتألق عيناه ببريق مخيف ، وهو يستطرد :

ـــ سأمزقكم إربًا ، حتى أن أبرع الأطباء الشرعيين فى العالم لن ينجح فى تعرُّف بقاياكم .

كان البريق المنبعث من عينى (أدهم) رهيبًا مخيفًا .. يتألق بالقوة والعزم ، حتى أنه أثار الرجفة فى قلوب الرجال الثلاثة ، وتراخت ذراع (ليڤى) على الرغم منه من حول عنق (منى) ، والتقطت عين (أدهم) الفاحصة هذا التراخى ، وانتقل المشهد إلى عقل (أدهم) ، ثم إلى عضلاته ، واشتعلت سرعة استجابته المذهلة ، وتحرك ...

قفز (أدهم) فجأة ، وبدون سابق إنذار ، تحوَّل جسده من حالة السكون إلى قمة الحركة فى جزء من أعشار الثانية ، وتحركت قدمه فى الهواء ببراعة منقطعة النظير ، لتعبر الفراغ الضئيل بين ذراع (ليڤى) ووجهه ، وعنق (منى) ، فى دقة قد

تعجز عنها أجهزة التحكم الإليكترونية ، وارتطمت قدم (أدهم) بوجه (ليڤى) ، وحطمت أنفه ، ودفعت به بعيدًا بحيث أفلتت منه (منى) ، التى سقطت تلهث من شدة الألم والانفعال ، على حين عادت قدما (أدهم) تستقرَّان على سطح اليخت ، وانطلقت قبضتاه تحطمان فك (ليڤى) ، وتغوصان فى معدته بتعاقب مذهل سريع ، أطلق بعده (ليڤى) خوارًا مزعجًا ، وسقط مجندلًا ، مضرَّجًا بالدماء ، وتراجع الضفدعان البشريان الآخران فى رعب ، ولكن (أدهم) بادر أولهما بلكمة ساحقة فى صدره حطمت ضلوعه ، وجعلته يسقط جاحظ العينين ، يشهق فى قوة وألم حتى غاب عن الوعى ، أما الثانى فقد قفز إلى البحر محاولًا الهرب ، وبدون لحظة من التردد ألقى (أدهم) نفسه خلف الضفدع البشرى ، وغاص كلاهما فى أعماق البحر .

* * *

لو أننا طبقنا القواعد العادية على مثل هذا الصراع ، لكان من الطبيعى أن ينتصر الضفدع البشرى ، فالغوص والصراع فى الأعماق هو حرفته ومهارته الأولى ، كما أنه يحمل فوق ظهره أسطوانة من الأكسوجين تمده بمزيد من الهواء ، الذى يسمح له بالبقاء فترة أطول تحت سطح الماء ، على حين يغوص خصمه معتمدًا على رئتيه فقط ، ومرتديًا حلة سهرة كاملة لا تسمح له



ولكن (أدهم) بادره بنزع خرطوم الأكسوجين من فمه ، وفقد الضفدع البشرى أهم مميزاته فى اللحظة الأولى للقتال ..

بحرية الحركة تحت الماء ، ولكن العامل الذى يقلب كل هذه القواعد رأسًا على عقب هو أن الخصم ليس رجلًا عاديًا ، إنه (أدهم صبرى) ، الذى يحمل لقب (رجل المستحيل) .

لقد حاول الضفدع البشرى استغلال إمكاناته بالفعل ، فعمد إلى الغوص العميق ، واستغل الزعانف الصناعية فى قدميه للابتعاد بسرعة ، ولكنه أخطأ حينما أولى إمكاناته كل هذه الثقة ، وعندما لم ينتبه وراءه ؛ لذا فقد ارتجف جسده وسقط قلبه بين قدميه ، وانهارت ثقته دفعة واحدة حينما قبض (أدهم) على ساقه بقبضة فولاذية ، ودار الضفدع البشرى حول نفسه وهو ينتزع خنجره من حزامه ، ولكن (أدهم) بادره بنزع خرطوم الأكسوجين من فمه ، وفقد الضفدع البشرى أهم مميزاته فى اللحظة الأولى للقتال ، وفقد الثانية فى اللحظة التالية ، عندما قبض (أدهم) على معصمه ، وأجبره على ترك خنجره ، وهنا استسلم الضفدع البشرى على الفور ، وترك خصمه يدفعه إلى سطح الماء ، وقد أعجزه الرعب عن مقاتلة الرجل الذى ترتجف له مخابرات دولته بأكملها .

صعد (أدهم) إلى سطح اليخت وهو يقبض على عنق أسيره ، ولم يكد يتطلَّع إلى السطح حتى رفع حاجبيه دهشة ،

وانطلقت منه ضحكة مرحة ، فقد كانت (منى) منهمكة فى إحكام قيد (عصمت فوَّاز) ، ولقد التفتت إليه فى بساطة حينما سمعت ضحكته ، وابتسمت وهى تقول :

ـــ مرحبًا يا سيادة العقيد .

سألها (أدهم) وهو يدفع أسيره أمامه :

ـــ ألم يراودك القلق وأنا أطارد هذا الوغد تحت سطح الماء أيتها النقيب ؟

هزت كتفيها وهى تقول فى هدوء :

ـــ لم يراودنى أدنى شك فى انتصارك ، وفضلت اتخاذ بعض الإجراءات الضرورية حتى تعود منتصرًا .

ابتسم (أدهم) فى حنان وهو يهمس :

ـــ أتثقين فى قدراتى إلى هذا الحدّ يا عزيزتى ؟

تضرج وجهها بحمرة وهى تهمس :

ـــ ولم لا ؟.. ألست (رجل المستحيل) ؟

* * *

انتهى (أدهم) ، و (منى) من إحكام وثاق أسراهم ، ونقلوهم إلى الكابينة الصغيرة داخل اليخت ، ثم جذب (أدهم) الضفدع البشرى الذى احتفظ بوعيه ، ونظر فى عينيه مباشرةً بنظرة باردة وهو يقول :

ـــ والآن أيها الوغد سيدور بيننا حديث طويل .

شحب وجه الرجل رعبًا ، وأسرع يقول :

ـــ سأخبرك بِكُلِّ شىء ، أنا أدعى (إيرل كوهين) ، وأحمل رتبة ملازم أول بجيش الدفاع الإسر ...

قاطعه (أدهم) ، قائلًا فى سخرية :

ـــ دعنا من بياناتك الشخصية هذه ، فسيكون هناك الكثير من الوقت لتقص قصة حياتك بالتفصيل على آذان الزملاء فى الإدارة ، أما الآن فأنا أريد أن أعرف كل شىء عن الغواصة .

اتسعت عينا الرجل ذهولًا وهو يقول :

ـــ الغوَّاصة ؟!

ابتسم (أدهم) ابتسامة مخيفة ، وقال :

ـــ نعم أيها الوغد .. الغوَّاصة .. فلقد استدنت عشرة ملايين جنيه من أموال دافعى الضرائب ، وأنا أنوى إعادة المبلغ مع الفائدة .

وأطلت من عينيه نظرة عابثة وهو يردف :

ـــ لذا فقد قررت إهداء غواصتكم إلى سلاحنا البحرى .. مع تحياتى .

* * *

٩ ـ الطريق إلى قلب العدو ..

أحكمت (منى) أسطوانة الأكسوجين خلف ظهرها ، وتطلّعت إلى (أدهم) ، الذى انهمك فى لف المسدس الذى كان يخص (مجدى) بغلاف من النايلون ، وقالت :

ـ أمازلت تصر على إتيان هذا العمل الجنونى ؟

هز كتفيه فى استهتار وهو يثبت المسدس فى حزامه ، وقال :

ـ يمكننى الذهاب وحدى يا (منى) .

تنهدت وهى تقول :

ـ سأصحبك حتى ولو قررت الذهاب إلى الجحيم ، ولست أشك فى أننا يمكننا الاستيلاء على الغواصة ، بل إنك تستطيع ذلك وحدك ، ولكننى أتساءل ، ألن يؤدى هذا إلى أزمة ديبلوماسية مثلًا .

مطَّ شفتيه ، وقال وهو يثبت منظار الغوص فوق عينيه :

ـ لست أدرى فى الواقع ، ولكننى لن أترك هؤلاء الأوغاد يعودون بغواصتهم كما لو كانوا فى نزهة .

سألته فى قلق :

ـ ولكن رجال حرس السواحل لا يعلمون ما تنتويه ، وربما تعاملوا معنا كمتسللين و ...

قاطعها قائلًا :

ـ هل أنت مستعدة ؟

تنهدت فى يأس ، ثم قالت وهى تضع منظار الغوص فوق عينيها أيضًا :

ـ كما تأمر يا سيادة العقيد .

وبدون تبادل كلمة أخرى ، قفز الاثنان إلى أعماق البحر ، وبدأ الطريق إلى قلب العدو .

* * *

مضت نصف ساعة من السباحة تحت سطح الماء ، حتى كلت ذراعا (منى) وهى تبذل أقصى قوة تملكها ، على حين خفف (أدهم) من سرعته حتى يمكنها اللحاق به ، إلى أن لاح من بعيد ضوء أحمر باهت على عمق ثلاثين مترًا تحت سطح البحر ، فأشار إليها (أدهم) ، مستخدمًا أسلوب الحوار تحت سطح الماء ، ثم اتجه كلاهما نحو الضوء الأحمر الباهت ، ولم تلبث أن اتضحت معالم الغواصة الساكنة ، واقترب منها الاثنان حتى

تمكنا من قراءة الاسم العبرى على مقدمتها ، والرقم الواضح إلى جواره ، ثم تبعت (منى) (أدهم) إلى كوة صغيرة أعلى الغواصة ، ودق (أدهم) الكوة دقتين متواليتين ، ثم انتظر لحظة ، وعاد يدق ثلاث دقات منفصلة ، وكانت هذه هى الاشارة السرية التى تم الاتفاق عليها ، كما اعترف الضفدع البشرى العدو ..

لم تمض لحظة حتى تحركت الكوة ، كاشفةً حجرة معدنية صغيرة ، تسلل إليها (أدهم) ، وتبعته (منى) ، وعادت الكوة تغلق ، وبدأ الماء ينحسر من الحجرة الصغيرة فى بطء ، حتى أصبح ارتفاعه لا يزيد على سنتيمترات قليلة ، وهنا تحرك باب جانبى صغير ، وبدأ قلب (منى) يدق فى عنف ، على حين ظل (أدهم) هادئًا ، إلى أن ظهر وجه عريض لبحار يرتدى سترة زرقاء ، وقبعة بيضاء من ذلك النوع الذى يرتديه البحارة ، وكان صاحب الوجه العريض يبتسم وهو يقول بلغة عبرانية :

ــ هل أتممتا الصفقة يا رجال ؟

ولكن ملامحه تجهمت فجأة حينما وقع بصره عليهما ، وهتف فى ذعر :

ــ يا إلهى !! من أنتما ؟

جاءت إجابة (أدهم) على شكل لكمة ساحقة ، أصابت الوجه العريض ، وألقت صاحبه إلى الخارج ، بين خمسة من رفاقه ضخام الجثة ، مفتولى العضلات .

* * *

قفز (أدهم) خارج كابينة الغوص ، واندفعت قبضته اليمنى إلى فك أحد البحارة الخمسة ، ثم تفجرت اليسرى فى أنف الثانى ، وارتفعت قدم (أدهم) لتركل الثالث فى معدته ، ولكن ....

تلك الزعانف الواسعة المطاطية التى يرتديها (أدهم) ضمن زى الغوص ، والمياه التى لم تجف عنها بعد ، كان لهما مفعول مؤسف ، فقد انزلق (أدهم) حينما رفع قدمه بتلك الحركة الحادَّة ، ووجد نفسه يسقط على ظهره وسط آلات الغواصة ، وارتطم رأسه بجدار من الصلب ، ولكنه تماسك ، وحاول النهوض فى صعوبة ، إلَّا أن واحدًا من البحارة ضخام الجثة قفز نحوه ، وركله فى ذقنه ، فعاد رأس (أدهم) يرتطم بحائط الصلب ، ليفقد وعيه فى الحال .

تسمرت (منى) فى مكانها فى ذهول ، وشعرت بالألم يعتصر قلبها وهى تهتف باسم (أدهم) ، ثم اندفعت نحوه ، وانحنت تحاول إنعاشه ، وهمَّ أحد البحارة بمهاجمتها ، لولا أن أوقفه زميله ، قائلًا فى سخرية :

ــ مهلًا يا (إقرام) ، إنها مجرد امرأة ، ألم تلحظ ذلك ؟

صوَّب البحارة مسدساتهم نحو (منى) ، وقال أحدهم فى غضب وهو يحاول منع الدم المتدفق من بين أسنانه ، التى حطمتها قبضة (أدهم) :

ــ فلنقتلهما .. لا ريب أنهما قد قتلا رجالنا .

تقدم أحدهم نحو (أدهم) ، ونزع منظار الغوص من فوق عينيه ، وتأمل فى ملامحه لحظة ، ثم هتف غير مصدق :

ــ يا إلٰهى !! لقد وقعنا على صيد ثمين يا رفاق .

ثم قفز إلى جهاز الاتصال الداخلى ، وصاح فى بوقه :

ــ هنا غرفة الغوص يا سيدى القبطان ، لقد وصل إلينا اثنان من الضفادع البشرية ... كلَّا إنهما ليسا من رجالنا .. إنهما رجل وفتاة ، والرجل يعد أثمن من الملايين العشرة التى كنا ننتظرها .. إنه ذلك الشيطان المصرى المعروف باسم (أدهم صبرى) .

* * *

لم تكد تمضى لحظات على هذا الحديث ، حتى كان قبطان الغواصة يهرع إلى غرفة الغوص بادى الانفعال ، ووقف عشر دقائق كاملة يحدِّق فى وجه (أدهم) ، الذى لم يستعد وعيه بعد ، وفى (منى) التى انحنت فوق جسد (أدهم) فى لوعة ، تحاول إنعاشه ، وكأنها لا تدرى بوجودها بين هؤلاء الرجال ، أو كأن ذلك لم يعد يعنيها ، ثم هتف القبطان :

ــ يا للشيطان !! إنه هو بالفعل ، ولكننى سمعت أنه قد لقى حتفه و ...

وبتر عبارته فجأة ، ثم غمغم :

ــ إنه شيطان بالفعل .

سأله أحد البحارة :

ــ ماذا نفعل به يا سيدى القبطان ؟

ظل القبطان صامتًا بضع لحظات ، دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) ، ثم افترَّ ثغره عن ابتسامة وحشية وهو يقول :

ــ ماذا نفعل به ؟ .. سنعيده إلى مصر بالفعل .

ظهرت الدهشة على وجوه البحارة الخمسة وهم يهتفون :

ــ نعيده إلى مصر ؟!

ازدادت ابتسامة القبطان وحشيَّة وهو يقول :

— نعم يا رجال ، سنعيده وزميلته إلى مصر ، داخل اثنين من طوربيدات الغواصة ، وستكون مفاجأة مذهلة للمصريين .

ثم انطلق يضحك فى شراسة ، وارتسمت ابتسامات وحشية متشفية على وجوه البحارة الخمسة ، على حين شحب وجه (منى) حتى حاكى وجوه الموتى .

* * *



١٠ ـ الطوربيد البشرى ..

أطلقت (منى) صرخة تموج باللوعة ، وألقت جسدها فوق (أدهم) وهى تهتف :

— كلَّا .. إنكم لن تقتلوه .. لن تقتلوه .

أطلق البحارة الخمسة ، وقبطانهم ضحكات ساخرة وهم يتطلَّعون إلى ما تفعله (منى) وقلب أحدهم شفتيه ازدراءً ، لذلك السلوك المغرق فى العاطفية ، الذى اتخذته فتاة من المخابرات المصرية ، ولكن ضحكاتهم لم تلبث أن احتبست فى حلوقهم ، وارتعدت شفاة الرجل الذى شعر بالازدراء ، حينما اعتدلت (منى) فجأة ، وارتسمت على وجهها لمحة انتصار وهى تصوِّب إليهم مسدسًا ، هو نفسه الذى كان (أدهم) يحتفظ به داخل غلاف من النايلون فى حزامه ..

نهضت (منى) فى بطء وهى تصوِّب إليهم مسدسها ، وقالت فى لهجة ساخرة ، اكتسبتها من طول عملها مع (أدهم صبرى) :

— لقد ظننتم أننى مصابة بانهيار عصبى ، أليس كذلك ؟

رفع البحارة الخمسة وقبطانهم أذرعتهم فوق رءوسهم فى حنق ، ولم يستطع أحدهم أن يحر جوابًا ، فاستطردت هى فى سخرية :

— الذين ينتمون إلى المخابرات المصرية لا يفقدون أعصابهم بهذه السهولة أيها الأوغاد .

احتقنت الوجوه غضبًا ، على حين تابعت (منى) موجهة حديثها إلى القبطان :

— كم رجلًا يعملون هنا ؟

مطَّ القبطان شفتيه دون أن ينطق ، فزوت (منى) ما بين حاجبيها ، وقالت فى حدَّة :

— كم رجلًا أيها القبطان ؟

صاح القبطان فجأة :

— لا أحد .

وفى نفس اللحظة انقض بحار ضخم على (منى) ، وركل مسدسها بقوة ، فأطاح به بعيدًا ، وحاول الثانى لكمها ، ولكنها تفادت لكمته ، ودفعت أصابعها فى عنقه ، فتأوه الرجل وهو يمسك مكان الإصابة براحتيه ، ولكن من الصعب على

(منى) وحدها أن تتغلب على ستة رجال ، وسرعان ما وجدت نفسها فى قبضة أحدهم ، وهى تحاول المقاومة فى شراسة ، إلَّا أن جسدها الرقيق لم يكن ندًا لأجسادهم الضخمة ، وفى قمة يأسها وجدت نفسها تنفجر بالبكاء ، مما أثار ضحك البحارة وقبطانهم ، الذى قال فى شماتة :

— إننى أفضل الانتحار على هزيمتى على يد إمرأة .

ثم استدار إلى رجاله صائحًا :

— احملوهما إلى حجرة الطوربيدات يا رجال .

* * *

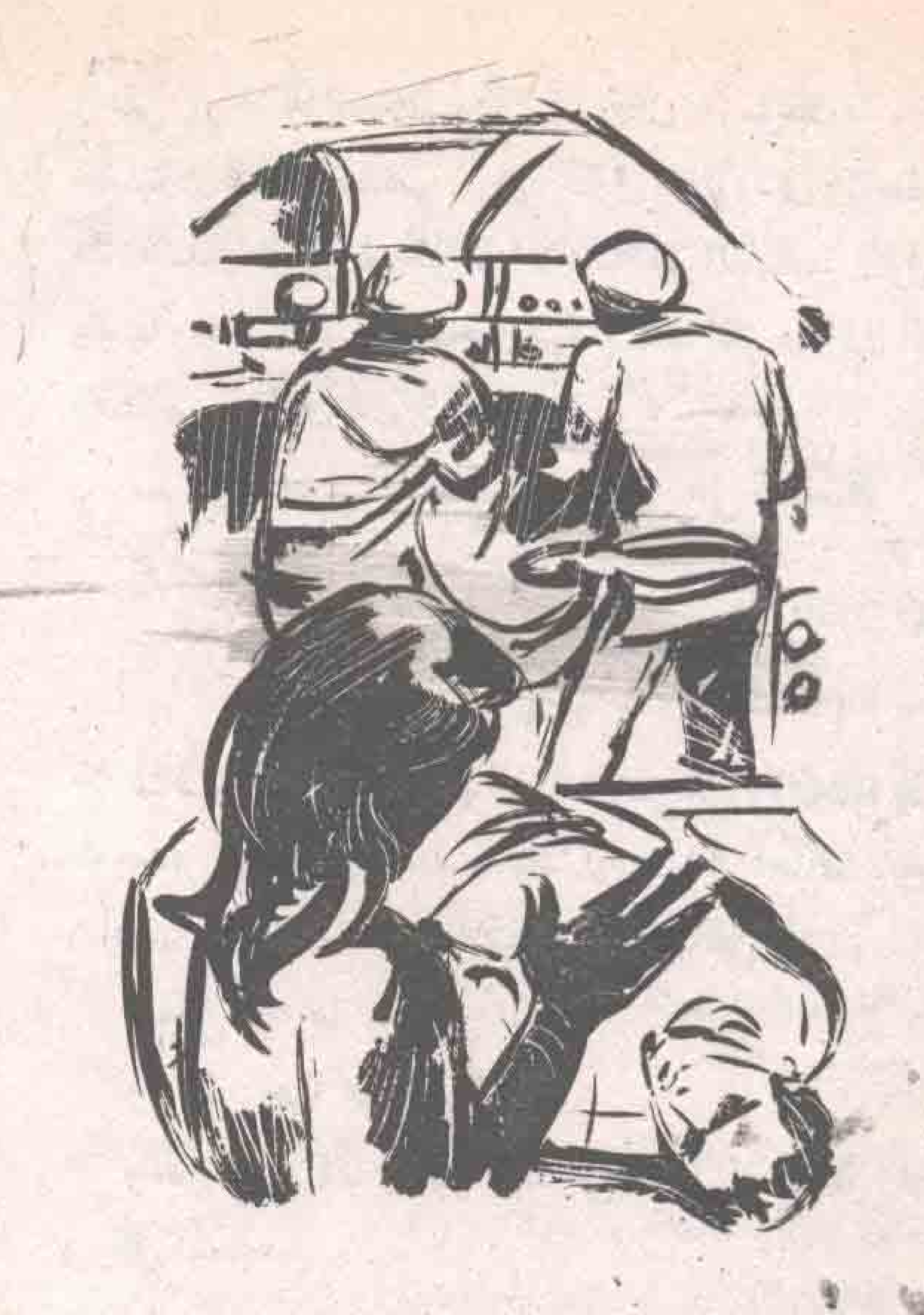
سالت دموع (منى) غزيرة ، وهى ترى البحارة يفرغون طوربيدين من عبوتهما ، استعدادًا لوضعها فى أحدهما ، ووضع (أدهم) فى الثانى ، وإطلاقهما نحو الشاطئ ..

لم يكن بكاؤها خوفًا من الموت ..

ولم يكن حزنًا على الحياة ..

ولكن قلبها كان ينفطر ألمًا على تلك النهاية التى تنتظر (رجل المستحيل) ..

ذلك العملاق الذى جاب بلاد الدنيا ، وحطم عمالقة التجسس ، وإمبراطوريات الجريمة ...



سالت دموع (منى) غزيرة ، وهى ترى البحارة يفرغون طوربيدين من عبوتهما ، استعدادًا لوضعها فى أحدهما ، ووضع (أدهم) فى الثانى ..

هذا البطل الذى ندر أن تنجب البشرية مثله عبر الأجيال ..

كان بكاؤها من أجله ...

من أجل الرجل الذى يحتل مكان الصدارة وسط عمالقة المخابرات ..

والذى يحتل المركز الأول فى قلبها .

كانت تبكى من أجله .. من أجل (أدهم صبرى) ..

وفى لهجة آمرة شامتة ، قال قبطان الغواصة :

ـــ هيا يا رجال .. ضعوا الصيد فى قبره الخاص .

امتدت أيدى البحارة نحو (أدهم) ، ولم يكد أولهم يلمسه حتى شهقت (منى) فى لوعة ، ومع آخر أصداء شهقتها اندفعت قبضة (أدهم) فجأة كالقنبلة ، تحطم فك أول البحارة بصوت مسموع ، كان له رنين الموسيقى فى قلب (منى) .

★ ★ ★

انفجر الطوربيد البشرى ، ولكنه لم ينفجر على شاطئ مصر ، بل تفجر فى وجوه البحارة ، وبطونهم ، وأعناقهم ...

قفز (أدهم) واقفًا فجأة بينهم ، وأصابتهم المفاجأة بذعر لا مثيل له ، ولم يشأ هو أن يتركهم لذعرهم وتوترهم ، بل فضل

ـ بما جبل عليه من حب للخير ـ أن يريحهم منه ، واندفعت قبضتاه ، وقدماه تنفذ ما يأمرها به عقله المتألق ..

تحطم فك البحار الأول ، وتهشم أنف الثانى ، وتفجرت معدة الثالث ، وانكسر عنق الرابع ، وشج رأس الخامس فى الثوانى الخمس الأولى من القتال ، ومع بداية الثانية السادسة قبض (أدهم) على سترة القبطان ، وجذبه إليه فى قوة ، حتى أصبح وجهاهما على قيد سنتيمترات من بعضهما البعض ، وقال فى سخرية ، وتهكم :

ـ هل أدهشتك المفاجأة أيها الوغد ؟

شحب وجه القبطان ، وعجز لسانه عن النطق ، على حين هتفت (منى) فى سعادة لا مثيل لها :

ـ (أدهم) !! حمدًا لله .. حمدًا لله .

ابتسم (أدهم) ابتسامة عذبة حانية وهو يقول :

ـ شكرًا لك يا عزيزتى ، لقد أيقظتنى شهقتك الأخيرة .

تطلع إليه القبطان فى ذهول ، وسالت دموع الفرح من عينى (منى) وهى تسأله :

ـ هل فعلت ذلك حقًا ؟

وقبل أن يجيبها هتف القبطان :

ـ هذا مستحيل ، لا يمكنك أن تكون قد استيقظت توًا ، إن من يستعيد وعيه يحتاج إلى بعض الوقت ، قبل أن يمكنه السيطرة على حركاته المنعكسة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ ليس عندما تندفع شهقة من فم أحب مخلوق إليك ، وتعبر أذنيك إلى قلبك ، فتوقظك متأهبًا للدفاع عنه ، مهما كان الثمن .

احمر وجه (منى) وهى تهمس فى خجل :

ـ (أدهم) .

حوّل (أدهم) عينه عنها ، واتجه إلى القبطان ، قائلًا فى برود :

ـ ما رأيك أيها الوغد ؟ إننى أريد استعارة غواصتك .

هتفت (منى) :

ـ لا أحد يعلم بوجودنا هنا سوى ثلاثة من البحارة فى حجرة الغوص ، أما الباقون فقد حطمت أعناقهم أنت الآن ، فقد كان هذا الوغد متعجلًا للقضاء علينا ، حتى أنه لم يعلن وجودنا بعد .

قال القبطان فى حنق :

ـ حتى مع عدم معرفة الباقين بوجودكما ، لن يمكنكما الاستيلاء على غواصة كاملة بمفردكما ، هذا يحتاج على الأقل إلى إجادة فن الغوص .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال وعيناه تتألقان مكرًا :

ـ هذا صحيح .. إن قيادة غواصة حديثة كهذه يحتاج إلى مهارة وخبرة طويلتين ، كما أن الاستيلاء عليها بالقوة أمر يكاد يكون مستحيلًا .

ابتسم القبطان فى شماتة ، وقال :

ـ هل رأيت أنك لن تنجح قط ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، والتقط بوق الاتصال الداخلى فى هدوء ، ثم تكلم ، ومع أول كلمة خرجت من فمه اتسعت عينا القبطان ، ذهولًا ، وتدلت فكه السفلى لتمنحه مظهرًا أقرب إلى البلاهة ، فقد خرج صوت القبطان نفسه من بين شفتى (أدهم) ، فى براعة فائقة وهو يقول :

ـ أفرغوا خزانات المياه فى القطاعين (ثلاثة) و (خمسة) ، زاوية الميل خمس عشرة درجة ، الصعود على مرحلتين إلى سطح الماء .

أنهى (أدهم) أوامره ، والتفت بعينين عابثتين ماكرتين إلى القبطان ، الذى حدّق فى وجهه ذهولًا ، ثم هتف :

ـ ماذا تفعل بحق الشيطان ؟ إننا داخل المياه الإقليمية المصرية ، ولو أننا صعدنا إلى السطح فسيـ ....

وبتر عبارته فجأة ، وتعلقت عيناه المذعورتان بابتسامة (أدهم) الساخرة ، وانتابه يأس عنيف ، فقد كان ما يخشاه هو نفسه ما ينشده (أدهم) .

* * *

١١ ـ إلى مصر .. مع تحياتى ..

جلس العقيد (يسرى حسن) يحتسى قدحًا من الشاى فى (ميس الضباط) ، داخل الميناء الحربى برأس التين فى (الإسكندرية) ، ولم يكد يضع قدح الشاى الفارغ فوق المنضدة ، حتى دوَّى نداء عبر مكبرات الصوت يقول :

ـ العقيد (يسرى حسن) مهندس أول الغواصة (ف ـ ١١٠) ، يتوجه فورًا إلى غواصته ، الأمر عاجل للغاية .

قبل أن يتكرر النداء ، كان العقيد مهندس (يسرى حسن) قد قفز من مقعده ، وانطلق فى خطوات واسعة إلى رصيف الميناء ، حيث تقبع الغواصة الضخمة التى يتولى الإشراف على محركاتها ، ولم يكد يصعد إلى سطحها بعينيه المتسائلتين ، حتى بادره قبطانها ، قائلًا :

ـ لقد تلقينا أمرًا عاجلًا بالإبحار ، فقد ظهرت غواصة أجنبية داخل مياهنا الإقليمية ، ومن العجيب أنها تبحر فوق السطح فى تحد مثير للدهشة .

سأله المهندس (يسرى) :

ـ إلى أى دولة تنتمى ؟

لم يكد القبطان يذكر اسم الدولة التى تنتمى إليها الغواصة ، حتى اتسعت عينا المهندس (يسرى) دهشةً ، وهتف :

ـ هل خرقوا اتفاق السلام بيننا ؟

أجابه القبطان على عجل :

ـ سنتبين ذلك حينما نلتقى بها أيها العقيد ، ولقد تلقينا أوامر صارمة تقضى بأسرها ، أو نسفها بطوربيداتنا فى حالة المقاومة ، وبلا رحمة .

* * *

اقتربت الغواصة المصرية من تلك الأجنبية ، وتقابلت كلتاهما على بعد ثلاثة أميال بحرية ، داخل المياه الإقليمية المصرية ، وكانت الغواصة المصرية هى صاحبة النداء الأول ، حينما قالت عبر أجهزة اللاسلكى :

ـ حدد هويتك وهدفك ، أنت فى مياه مصرية ، سنمهلك دقيقتين فقط للاستسلام ، أو نطلق طوربيداتنا .

لم يكد ينتهى النداء حتى ارتفع هدير ثلاث طائرات حربية مصرية فوق الغواصة الأجنبية ، وانحنى العقيد مهندس (يسرى

حسن) يصغى إلى جهاز اللاسلكى فى انتباه ، منتظرًا إجابة الغواصة المتسللة ، ولم يطل الوقت ، إذ جاء الرد واضحًا ، ولكنه مثير للدهشة ، فقد تحدث صاحب الرد باللغة العربية وبلكنة مصرية خالصة ، تغلب عليها رنة ساخرة وهو يقول :

ـــ هنا العقيد (أدهم صبرى) من المخابرات العامة المصرية ، وطاقم هذه الغواصة أسرى ، وأطلب المعاونة لدخول الميناء بسلام .

تبادل طاقم الغواصة المصرية النظرات فى دهشة ، وغمغم أحدهم :

ـــ إنها خدعة ولا شك ، فالمخابرات العامة تنذرنا دائمًا إذا ما تداخلت خططها مع خطة سير أسطولنا .

قال العقيد (يسرى حسن) فى تعقل :

ـــ دعونا نسأل المخابرات العامة أولًا عن (أدهم صبرى) هذا .

أومأ القبطان برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ هذا منطقى يا (يسرى) دعونا نفعل .

سأله ضابط اللاسلكى فى هدوء :

ـــ وماذا لو أنهم لا يعرفونه ؟

أجابه فى بساطة :

ـــ سنطلق طوربيداتنا فورًا ، دون مناقشة .

* * *



جاء رد إدارة المخابرات العامة مدهشًا لطاقم الغواصة المصرية ، فقد كانت صيغته توحى بأن (أدهم صبرى) هذا هو أهم رجال المخابرات على الإطلاق ، حتى أن طاقم الغواصة المصرية أرسل نداءً يرحب فيه بهذا الأخير . وتمت قيادة الغواصة الأجنبية إلى رأس التين ، حيث تم أسر طاقمها ، والاستيلاء عليها ، واصطحب (أدهم) و (منى) إلى غرفة قائد القوات البحرية ، الذى أسرع إلى ميناء (رأس التين) فور سماعه النبأ ، وهناك أخذ قائد القوات البحرية يتفرس فى ملامح (أدهم) و (منى) بعض الوقت فى دهشة ، ثم سألهما :

— هل تعنيان أنكما قد أسرتما الغواصة وحدكما، دون أى معاونة؟

ابتسمت (منى) فى فخر وهى تقول :

— هذا ما حدث تمامًا يا سيدى .

تطلع قائد البحرية إلى (أدهم) ، وكأنه ينتظر منه الجواب ، فقال (أدهم) فى هدوء :

— لقد ساعدنا حسن الحظ على ....

قاطعته (منى) ، قائلةً :

— حسن الحظ ؟!.. لا تصدقه يا سيدى الفريق ، لقد قاتل كوحش كاسر حتى تمكنَّا من ...

قاطعها قائد البحرية المصرية هذه المرة ، قائلًا :

— مهلًا أيتها النقيب، لقد أجريت قبيل حضورى اتصالًا هاتفيًّا، مع مدير المخابرات المصرية، وعلمت من هو (أدهم صبرى)، ولكن الذى يثير دهشتى، بل دهشتنا جميعًا هو لماذا أسرتما الغواصة الأجنبية؟

تألقت عينا (أدهم) وهو يقول :

— على سبيل الهديَّة يا سيدى .

ضاقت عينا قائد البحرية المصرية ، وهو يردد فى دهشة :

— الهدِيَّة ؟!!

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

— نعم يا سيدى .. هديَّة إلى مصر ، مع تحياتى .

* * *

١٢ ـ الختام ..

تابع (قدرى) البدين الحركة الدائبة القلقة ، غير المألوفة فى أروقة المخابرات العامة ، حيث يسود الهدوء عادةً ، ثم لم يلبث أن سئم التساؤل ، فأوقف أحد الرجال وسأله فى حدة ، جاءت دون أن يتعمدها :

— ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟

أجابه الرجل فى توتر واضح :

— السيد رئيس الوزراء هنا ، وكذا سيادة وزير الدفاع ، إنهم يجتمعون منذ نصف ساعة فى مكتب المدير .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وهتف :

— يا للهول !! إن أحدهما لم يطأ مكاتب الإدارة منذ ما يقرب من عشر سنوات ، كيف اجتمعا هنا هكذا ؟

أجابه الرجل وهو يحاول التملُّص من أسئلة (قدرى) الحساسة :

— يقولون إنهما قد أتيا بشأن العقيد (أدهم صبرى) .

ارتسمت إبتسامة واسعة على شفتى (قدرى) ، غطت وجهه البدين المكتظ وهو يقول :

ــ مرحى يا (أدهم) !! لا ريب أن هذا الاجتماع يهدف إلى ترقيته إلى رتبة (العميد) على الأقل .

تطلّع الرجل إلى (قدرى) بعينين قلقتين وهو يقول :

ــ ألا تعلم سبب حضورهما حقًّا ؟

أجابه (قدرى) فى مرح :

ــ ومن أين لى أن أعرف أيها المخبول ؟ .. هل أخبروك أننى أمتلك كرة سحرية لقراءة الغيب .

صمت الرجل لحظة ، وظهر التوتر والتردُّد فى ملامحه ، قبل أن يقول :

ــ يقول الجميع إنهما قد حضرا لمحاكمة العقيد (أدهم) ، وربما يؤدى الأمر إلى فصله .

سقطت فك (قدرى) السفلى ، واتسعت عيناه ذهولًا ، ثم لم تلبث ملامحه أن اكتست بالغضب وهو يهتف :

ــ محاكمته ؟!! .. فصله ؟!! ماذا أصاب الجميع ؟

* * *

وقف (أدهم صبرى) هادئًا ، جامد الملامح أمام لجنة المحاكمة المشكلة من رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع ، ومدير المخابرات ، على حين ظهر التوتر والقلق فى وجه (منى) التى تقف إلى جواره ، وفى لحظة انتقالنا إلى مكتب مدير المخابرات كان رئيس الوزراء يقول فى توتر :

ــ لقد أوقعتنا فى مأزق ديبلوماسى خطير أيها العقيد ، لقد كانت مهمتك تنحصر فى تحطيم إمبراطورية المخدرات ، التى يتزعمها (عصمت فوَّاز) و ...

قاطعه (أدهم) ، قائلًا فى هدوء :

ــ وتعقب مصادره وتحطيمها عن آخرها يا سيدى .

صاح رئيس الوزراء فى غضب :

ــ ولكن مهمتك لم تكن تتضمن أسر غواصة تابعة لدولة أخرى ، وطاقمها بالكامل .

قالت (منى) فى حدَّة :

ــ إننى أعد هذه بطولة تستحق المكافأة يا سيدى .

حدَجها (أدهم) بنظرة صارمة ، وكأنه ينبهها إلى قدرته على الدفاع عن نفسه ، فأطبقت شفتيها فى ضيق لم يفارق ملامحها ، على حين قال (أدهم) دون أن يزايله هدوءه .

ــ لقد كانت هذه الغواصة تحمل شحنة من المخدرات تبلغ قيمتها عشرة ملايين جنيه يا سيدى ، ومثل هذه الشحنة كفيلة بتحطيم نصف شبابنا على الأقل .

لوَّح رئيس الوزراء بكفه صائحًا :

ــ لا يمكنك معالجة كل الأمور بعضلاتك أيها العقيد ، ثم إننا لم نعد فى حالة حرب مع هذه الدولة .

أجابه (أدهم) :

ــ بل هى حرب من نوع جديد يا سيدى ، حرب تهدف إلى تحطيم الوطن من الداخل .

زفر وزير الدفاع فى ضيق ، وقال :

ــ اسمع يا (أدهم) ، لقد كنت رئيسًا لك فيما مضى فى المخابرات العامة ، وأنا أعلم مقدار ما تتمتع به من عناد ، وإصرار ، وحب لهذا الوطن ، ولكن أسلوبك هذا لم يعد يتفق مع روح العصر ، فالعلاقات بين الدول أصبحت شديدة التعقيد ، إلى الحد الذى يستلزم وجود خبراء فى مجال التعامل بين الدول ، سواء فى زمن الحرب ، أو السلم ، ومن الخطورة أن نخالف ما يراه هؤلاء الخبراء ، فقد يقود أى تصرف غير مدروس إلى حرب لا يعلم إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ ما قد تنتهى إليه .

مطَّ (أدهم) شفتيه دون أن ينطق ، وإن نمَّت ملامحه على عدم الاقتناع ، مما دعا مدير المخابرات إلى أن يقول :

ــ لا فائدة .. إنه لن يعترف بخطئه أبدًا .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ الاعتراف بالخطإ هو قمة الشجاعة يا سيدى ، وأنا لا أتردَّد لحظة فى الاعتراف بأى خطإ أرتكبه ، بل إننى أعُدُّ الإصرار على الخطإ نوعًا من الحماقة والجبن ، وأنا أنأى بنفسى عن الصفتين ، ولكن الاعتراف بالخطإ يستلزم أولًا الشعور بهذا الخطإ ، وهذا ما لم أشعر به بعد .

قال رئيس الوزراء فى حدة :

ــ إذن فأنت تعتقد أنَّ ما فعلته صواب ؟!

بدت نظرة (أدهم) صارمة وهو يقول :

ــ بلا شك يا سيدى ، لقد تنازلت تلك الدولة عن كل المبادئ والقيم ، وهى تنقل شحنة من المخدرات بغواصتها إلى هنا ، بل وانحدرت إلى حد أن تتحول إلى تاجر مخدرات دولى ، بمجرد ضمان عدم قدرتنا على محاربتها مستقبلًا ، ومثل هذه الدولة تحتاج إلى درس قاس حتى لا تكرر فعلتها هذه ، ولم يكن الدرس فى رأيى سوى الاستيلاء على غواصتها ، كما نفعل عادةً بكل أداة

تستخدم لتهريب هذه السموم إلى مصر ، لقد طبقوا قانونهم ، وطبقنا قانوننا ، وهذا هو الجزء العادل .

ساد الصمت لحظة ، تبادل فيها الجميع نظرات متسائلة ، ثم لوح رئيس الوزراء بذراعه ، وقال فى صرامة :

ــ لقد انتهى دفاعك أيها العقيد ، وسنتخذ القرار بشأنك ، فإما أن تواصل عملك فى المخابرات ، بكل ما تتبعه من تحطيم للقوانين والأعراف الدولية ، أو تحال إلى التقاعد ، وهذا ما أفضله .

* * *

انطلق (أدهم) بسيارته صامتًا ، هادئًا طوال الطريق إلى منزله ، إلى أن قالت (منى) فى مرح :

ــ لا ريب أنك تكاد تطير فرحًا بالقرار الذى انتهت إليه المحاكمة ، برغم البرود الذى ترسمه على ملامحك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

ــ لم يكن قرار اللجنة ليقلقنى يا عزيزتى (منى) ، فأنا لن أتوقف يومًا عن محاربة كل من يسىء إلى مصر ، كل ما فى الأمر هو أننى أعمل الآن بصورة شرعية .

رفعت حاجبيها دهشةً ، وقالت :

ــ هل تعنى أنك كنت ستعمل بصورة غير شرعية ، فى حال موافقة اللجنة على فصلك ؟

ابتسم وهو يومئ لها برأسه ، قائلًا :

ــ كنت سأفعل كل شىء فى سبيل مصر ، حتى ولو دفعت حياتى ثمنًا له .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قالت :

ــ لقد كان رئيس الوزراء غاضبًا من رفض وزير الدفاع ، ومدير المخابرات معاقبتك .

ابتسم ، قائلًا :

ــ إننا نعيش فى بلد ديموقراطى يا عزيزتى ، والرأى دائمًا للأغلبية .

عاد الصمت يسود بينهما لحظة ، ثم سألته (منى) فى مرح :

ــ كيف تفعل كل هذا ؟! .. أعنى كيف تنجح فى اكتساب كل هذه القدرات ؟

سرح (أدهم) ببصره لحظة ، ولاحت على شفتيه ابتسامة حانية ، وكأنه يعيش ذكرى بعيدة ، ثم أجابها فى هدوء :

ــ لقد كان والدى واحدًا من رجال المخابرات ، مع بداية إنشاء هذا الجهاز فى مصر يا (منى) ، ولقد كان ــ رحمه الله ــ

يأمل أن يكون لى شأن فى هذا المجال ؛ لذا فقد دأب على إعدادى لذلك ، وأعتقد أنه نجح فيما كان يسعى إليه .

هتفت (منى) وهى تتأمله فى إعجاب :

ــ نجح ؟!.. بل إنه ــ رحمه الله ــ تفوَّق تمامًا ، ولو أنه بقى على قيد الحياة ، لسار فى أرجاء الأرض شامخ الرأس ، فخورًا بأنه أنجب لمصر (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩